

إحياء ذكرى المولد بالطريقة السليمة

ترقى بنا السيدة زينب أبو عقيل وتسمو بأفكارنا إلى مطاف لطيف نتنسم فيه نفحات العبق الشدي في رياض الأنس المحمدي بأسلوبها الندي.

الموضوع: إحياء المولد النبوي بالطريقة السليمة هو إحياء بحق للسنة واتباع لا ابتداع فيه ، وكل إنكار هو عقوق ديني لا محالة

لقد صُدِّعت الرؤوس وما زالت تُصدِّع على الملا بكلمة بدعة، والعلم عن قائلها بمعزل، فباسمها نُهشت الأعراض على المنابر والفضائيات وصفحات الكتب المسمومة:

ويحسبون أنهم على هدى وأنهم أفضل من اهتدى
إذا ألقاك علمك في مهاوي فليتك ثم ليتك ما فهمت

إخواني القراء الأعزاء، أليس بغريب على من يدعي العلم ألا يتبحر فيه ظاهرا وباطنا حتى لا يكون سطحي المعلومات وعملة زائفة في برصة المعرفة الحقيقية. أهم أحرص على السنة من صاحبها صلى الله عليه وسلم الذي شجع على القربات والمسارعة إليها، وبشر السباقيين إلى المكارم بالقرب وبالجنة وجعل في ميزان حسناتهم ما سنوه من فعل صالح كانوا فيه قدوة لغيرهم ؟ أفلم تكن السنة الحسنة هي نفسها البدعة الحسنة التي تصبح صدقة جارية لصاحبها؟

أم هم أكثر غيرة على الدين من الفاروق عمر (ض) الذي فرح ببدعته الموقفة حتى قال قولته الشهيرة: "نعم البدعة تلك"؟ فالواضح أن قلة بضاعتهم في سوق الحقيقة هو الذي أعمى الأعين عن رؤية الشمس في عز النهار، وحجبتهم عن رؤية أولياء وأنصار الله القائمين بحقوقه على مراده جل وعلا .

فليتهم يتنبهون لما يُحاك حول الدين من دسائس هنا وهناك لتفريق الأمة، وليتهم يُقلعون عن مساعدتهم في هدم صرح الإسلام وطمس الهوية الإسلامية بالتواطؤ الغير المباشر، بل أقول بالتواطؤ الغبي والبليد الذي استطعم السم في الدسم لفقدانه لحاسة التدوق.

فهل يُعقل أن يعظم الغرب مشاهيرهم التافهة على منصات التكريم، ويُمنع نحن من إظهار مناقبنا وأعلامنا، وهل من الحكمة أن نُقير كل بدعة حسنة ونحن في أمس الحاجة إليها لتعيدنا إلى أمجادنا، ويُسوّقَ غيرنا لآرائه الشاذة وأحلامه الغبية؟!!

وكيف يتجرؤ علماءنا على التطاول على الحقيقة المحمدية وعلى أفضليتها على المخلوقات، والكُتُب مليئة بذلك؟ بل كيف يُسوّهون أفكار أعلامنا ويطعنون في روايات الصحابة الكرام ويرددون كلمات فارغة من معناها كقولهم هذا حديث ضعيف وهذا موضوع، وهذه بدعة مستحدثة وهذا كلام ما أنزل الله به من سلطان... أفكل ما لا يُوافق هواهم، هو من الحديث الضعيف وقبيله؟! فالحقيقة المحمدية هي محط نور الله ومظهر تجلياته تعالى: فمن روحه صلى الله عليه وسلم خلق الله الأرواح لأن روحه يعسوب الأرواح وسلطان الأرواح، لأنها الروح العالمة بربها.. وهو الحجاب الأعظم والوسيلة العظمى بين الرب وعباده (ولا حلول في ذلك ولا اتحاد ولا تأليه). كل ما في الأمر أنه صلى الله عليه وسلم ظُرف من ظروف الله، كي لا يحرق الخلق بكثرة الأنوار والتجليات. إذن فروحه ظهرت منها الأرواح في عالم الذر و آدم بين الروح والجسد وبين الماء والطين، وأما ظهوره المادي والطيني، فهو ككل البشر بالطريقة الطبيعية، إلا أنه طاهر النسل والنسب ومبارك ومُجتبى.

فطوبى لأهل المغرب خاصة، بكل ما تعارفوا عليه من تشريف وتعظيم وتكريم لجناب النبي صلى الله عليه وسلم وطوبى لهم "بسرود الميلودية" المتخللة بالأمداح النبوية البوصيرية، والتي تُختم بوقفة تعظيم للحظة الولادة المحمدية التي شُرُفت بها الإنسانية

وطوبى لمن حدا حدوهم وأصمَّ الأذن عما لا يليق بجنابه العظيم صلى الله عليه وسلم من تحريض على ترك تلك السنة الحسنة التي تعيد للسير النبوية بريقها في القلوب.

وصدق الصادق الأمين الذي قال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى." ما يُقال في وقفة "الميلودية" مقتطفات من كتاب العارف بالله الشيخ البعقلي (ض) مُجدد عصره: "إعلام جهال بحقيقة الحقائق:"

فبعد ما عرف رضي الله عنه في الصفحات الأولى الطويلة، عن سر الحقيقة المحمدية، وأفضلية سيد الخلق، بالكتاب والسنة وبالأنوار الربانية، مُوضحا معجزاته وسيرته النبوية، أبقى إلا أن يتحف القارئ بالوقفة التعظيمية المعتادة في مثل هذه المناسبة.

فقال في الصفحتين 23 و24:

- "ولما حملت سيده النساء من سيد الرجال بسيد الخلائق أجمعين، أصبحت الأصنام منكوسة، وبقي تسعة أشهر. وتمخضت به في أوله، في سابع ربيع الأول، وزاد منه بعضه الكريم، قبل فجر يوم الاثنين من الثاني عشر منه... فأظهر الله المعجزات في ليلة ولادته، وسخر الله لآمنة جميع العوالم، حتى خدمتها الملائكة

والإنس والجن: فوقع لها الفتح الأكبر، بطلعة أكرم خلق الله... فأخذها الطلق...
فولدت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم".
وهنا يبدأ سارد الميلودية بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وقفة إجلالية
من الحضور المحب الذي يردد بعد كل سلام عبارة: صلى الله عليك وعلى آلك
وسلم.
والسلام، عرضه الشيخ البعقلي، بعد الإعلام بلحظة ولادته صلى الله عليه وسلم،
وبعد عبارة:

- "وقوفا على الأقدام في حق سيد تعظمه الأكوان والإنس والجن"
والصيغة كالتالي:

السلام عليكم يا أيها الرسول العظيم
السلام عليك يا سيدنا ومولانا محمد
السلام من الله ومن كل الخلائق عليك يا ابن سيدنا عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم

السلام على من فضله الله على سائر الخلائق
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام عليك يا ابن أكرم النساء بنت وهب
السلام عليك من الله أيها البشير النذير
السلام عليك يا من هو السراج المنير
السلام عليك أيها الصادق الأمين
السلام عليك أيها المبعوث رحمة للعالمين
السلام عليك أيها الفاتح الخاتم لما أغلق
السلام عليك يا أبا القاسم
السلام منا عليك أيها الكريم الماجد
السلام عليك أيها الخليفة الأكرم
السلام عليك يا من هو المجلى الأعظم
السلام عليك من السنة كل الخلائق
السلام عليك بأي أنواع الطرائق
السلام عليك منك ومن أرواح الحقائق
السلام عليك من جنابك الأعظم
السلام عليك من الله الأكرم
السلام عليك ممن أوجد منك أنفاس الخلائق
السلام عليك يا حبيب الله وخليته
السلام عليك بكل سلام خلقه الله

اللهم طهرنا ومجالسنا بذكره الطيب، وتفضل علينا بسلوك نهجه القويم، وصل لنا يا ربنا عليه وسلم، وعلى آله، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله العظيم، صلاةً تفتح لنا بها أبواب الرضى والتيسير وتغلق عنا بها أبواب الشر والتعسير اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاةً عظيمة القدر والمقدار، صلاة وسلاماً يؤديان عنا حقه. آمين. " انتهى.

فأين هو إخواني العقلاء، الكفر والفسق والبدعة، في هذا الكلام الصادق الموزون، بميزان الشرع والمُقَدَّر بأطياب الكلام والمُوشى بأريج العواطف الخالصة؟! وما بال المتشددين لا يلجمون أقلامهم بلجام العلم الحقيقي ولا يقودون لسانهم بمقود الإنصاف؟ ونقول لهم كما قال إمام المادحين البوصيري:

وإذا البيّنات لم تُغن شيئاً فالتماسُ الهدى بهن عناء
وإذا ضلت العقولُ على علمٍ فماذا تقوله النصحاء
أفكار الشيخ البوصيري تحت المجهر

كفى بلد المغرب الحبيب فخراً أن يكون إمامُ المادحين العارفُ بالله شرف الدين محمد البوصيري الصنهاجي الباجي أحدَ أبنائه الأشاوس، وكفى مصر الشقيقة بلد العلم شرفاً أن يكون هذا العلم ممّن استوطن أرضها ودُفن في مقابرها حتى لُقّب بالبوصيري نسبةً إلى "بوصير" حيث تلفظ أنفاسه الأخيرة، بعد أن أخذ عن شيخ مغربي جليل استوطن هو الآخر أرض الكِنانة، وهو الشيخ "سيدي المرسي بالعباس (ض)"

وطوبى للمسلمين كافة بوجود أمثاله ممن دونوا السيرة النبوية وخلدوها بأشعارهم وكتبوها بدماء صدقهم وحرارة مشاعرهم: فمنظومة البوصيري، عملٌ مبارك، لا محالة ومُوقّق بإذن الله الذي سخره لمهمة التعريف بحبيبه بصفة شفافة ورقيقة تدخل القلوب بغير استئذان، رغم كيد الكائدين المُحْبِطِينَ من المتشددِين الذين نفتوا سم أفكارهم في عقول الخاصة والعامة حتى أشكلوا على الناس الأمور، وأوقعوهم في بعضهم: وأشهر هؤلاء المتنطعين حفيد محمد عبد الوهاب الذي أتم مسيرة جده الوهابية المقتبسة من الأفكار التيمية التي شنت الحرب على الأخضر واليابس، وأقحمت الربانيين في مهزلتها: فهذا الشبل الوهابي من ذلك الأسد، وهذا الغصن الغريب من تلك الشجرة الأغرّب. لقد تجاهل مرتبة الشيخ البوصيري ونعته بالشاعر فقط، ونعت من يسرد منظومته في المولد النبوي بالأغبياء والإمعة وبالمتواطئين على السنة، ففتح بذلك سوق الإنكار على مصراعيه وتربع على عرش الاتهام. وسطر بيده كلماتٍ سوف تشهد عليه، يوم القيامة بسوء الظن وبالإساءة إلى أحبائه وأوليائه المعرّفين به لدى خلقه تعالى: فكتب وكذب، وبئس ما كتب (على حد قول الأديب المغربي الأستاذ أحمد باكو).

للأمانة العلمية

فلنلق نظرة خاطفة على أفكار الشيخ البوصيري، حتى نرى هل فيها ما يُدينها حقًا أم لا؟:

فأول ما يتبادر إلى الذهن أنه رضي الله عنه جعل من الشعر أداة تعريف وإصلاح، وأخرجه من التفاهة وضيق الأفق والعنصرية والعصبية، إلى رحاب الجد والتنوير. ثم هناك شيء أهم، الذي ساعد على انتشار أمداحه بين الخاصة قبل العامة، هو اختياره لموضوع مهم وحقيقي وصادق، ألا وهو موضوع التعريف بالحقيقة المحمدية من كل الجوانب، مما جعله يتفوق في مجاله: فكان أدق وأكثر موضوعية من أي مؤرخ، وأبلغ كلامًا من أي كاتب، وأرق مشاعر من أي شاعر، وأندى صوتًا من أي مُنشد، لا لشيء إلا لأنه كان صادقًا في وصفه ومدحها، ولأن ممدوحه أحق أن يُمدح من غيره، ولأنه صلى الله عليه وسلم حبيبٌ وحبيب كل عاشق ولهان بشمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

فأول ما فكر فيه بعد مدحه صلى الله عليه وسلم وذكر مقامه عند ربه، هو تهنئة والدته التي شرفت بولادته وشرفت الأمة بأكملها بإطلالة عين الرحمة عليها. قال منشداً:

فهنيئاً به لأمنة الفضلُ الذي شَرَّفَتْ به حواءُ
يومَ نالت بوضعه ابنة وهب من الفخار ما لم تنله النساءُ
_ وقال عن مولده صلى الله عليه وسلم الذي كان وبالاً على الكفر والشرك
ورحمة وسعادة على الموحدين:

ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاءُ
مولد كان فيه في طالع الكفر وبالٌ عليهم ووباءُ

- وعن نقاء نسله الشريف قال:

لم تنزل في ضمائر الكون تُختارُ لك الأمهاتُ والآباءُ

- وعن خُلقه ونُبله صلى الله عليه وسلم قال:

لا تقس بالنبيِّ في الفضل فهو البحر والأنام إضاءُ
مُعجِزُ القول والفعال كريمُ الخلق والخلق مُقسِطٌ مِعطاءُ

- وعن المعجزة في يتمه وفي أميته التي كانت بسبب حجاب نبوته صلى الله عليه وسلم قال الناظم:

كفاك بالعلم في الأمي معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليثم

_ وأما عن معالجه رضي الله عنه للتطرف الفكري والصراع المذهبي، فقد

حارب الرفض والنصب والمغالاة في حب آل البيت بالطريقة التي تؤذيهم. فقال

منزها زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة عائشة - رضي الله عنها - في

حدث الإفك الذي يلوكه بعض الشيعة، بشيء من الغمز واللمز. يقول:
وبأزواجك اللواتي تشرقن بأن صائهن منك بناءً
(أي أن مجرد أن بنى بهن صلى الله عليه وسلم وعقد عليهن، رضوان الله عليهن،
حتى عصموا من الفحشاء)
- ثم نراه يحذر من التطاول على الصحابة الكرام كأبي بكر وعمر وأبي هريرة،
فقال:

وبأصحابك الذين هم بعدك فينا الهداء والأوصياء
- ونراه أيضا يشارك آل البيت حزنهم ومصابهم، في مقتل الحسين سيد الشهداء
(ض) في مذبحة كربلاء ويؤكد على أنه لهم بمثابة "حسان بن ثابت" شاعر
الرسول صلى الله عليه وسلم، في المديح، وهو لهم بمثابة الخنساء في الرثاء:
وبذلك يكون قد خطط لمشروع الوفاق والتوافق، بوثيقة إعادة الثقة وبنهج الاعتدال
والوسطية. فقال بحرقة المكروم:

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلَاءِ مُسِيءٍ خَقَفَتْ بَعْضَ وَزْرِهِ الزُّورَاءُ
أَلْ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبْتُمْ فَطَابَ الْمَدْحُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرِّثَاءُ
أَنَا حَسَانَ مَدِيحِكُمْ فَإِذَا نُحِتُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخَنَسَاءُ

- وأما في آخر همزيتة (ض)، فإنه رفع فروض الولاء والاحترام والتحية لسيد
الخلق صلى الله عليه وسلم، قائلا:

وسلام عليك من كل ما خلق الله لتحيى بذكرك الأملاء
أجل أيها الفاضل، سوف تحيي بذكره الأملاء ما بقيت الدنيا، وسنظل نرعى
حقوقك أيها النبي الجليل المجلل، وسنسمع العالم شمائلك وسنقى على خطاك
وعلى عهدك، ما وفقنا الله لذلك: فلو ذاق المنكرون حلاوة ما ذقناه في حبك، لماتوا
شهداء من البذل. ولكنهم حرموا أنفسهم هذه السعادة التي لا تضاهى ووقفوا
بالمرصاد، لكل من أراد الورد وطلب المدد من صاحب المدد صلى الله عليه
وسلم: فحسبنا الله ونعم الوكيل.
ونقول في الختام ما يعصمنا من كيد الوشاة والحاسدين:

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل منتقم

الاحتفال بالمولد النبوي بريئاً من البدع المذمومة

الاحتفال بالمولد النبوي بريئاً من البدع المذمومة و من السلوكيات الشاذة، المنسوبة للتصوف السني الذي يعتبر أصحابه إحياءه، تعبيراً عن الإتياع و المحبة، وعن التعظيم والفرحة بالرحمة المهداة، محمد- صلوات ربي عليه وسلامه. -

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله

الاحتفال بالمولد النبوي بريئاً من البدع المذمومة و من السلوكيات الشاذة
الاحتفال بالمولد النبوي بريئاً من البدع المذمومة و من السلوكيات الشاذة،
المنسوبة للتصوف السني الذي يعتبر أصحابه إحياءه، تعبيراً عن الإتياع و المحبة،
وعن التعظيم والفرحة بالرحمة المهداة، محمد- صلوات ربي عليه وسلامه. -
إن من يتصفح إلكترونياً بعض المواقع المتشددة، يُفاجأ بهجمات شرسة على
التصوف الإسلامي وعلى أعلامه الكُمل، من الربانيين الذين لا ذنب لهم، إلا أن
غيرهم من الأعداء أو المغالين قد تمسح بهم و بطرقهم الهادفة، فأساء لهم
و عرّضهم للمساءلة الدينية والمحكمة العقائدية، بل للاتهام بالزندقة والكفر
والشرك (والعياد بالله)

- فلقد جعلت مؤخرًا، بعض الفضائيات والمواقع الإلكترونية من مناسبة عيد المولد
النبوي إحياءً للأحقاد الدفينة لا للأمجاد الشامخة، و ثورة عارمة من التشكيك في
العقيدة، استباحت من خلالها دماء الأتقياء وخاضت فيها طولاً و عرضاً، في
أعراضهم، بالسب والقذف والتسفيه والتشهير، دون أيما اعتبار لحرمة المسلم،
و كأنها تُنازل أعداء حقيقيين في معركة مصيرية، فلم يسلم منها حتى كبار
الربانيين، لا من سنان رماح دعائها الطائشة، ولا من أقلامهم السليطة التي لا
تعرف إلا حفن سواد حبرها الدامس، بهمجية، في شرايين الأبرياء النظيفة،
الطاهرة من كل شرك وكفر أو فسق و زندقة. - نالوا من نيات كل من الشيخ
البوصيري وكل الشارحين والمحققين لبردته وهمزيتة، و حتى من الشيخ محمد
المالكي الحسني، صاحب "مفاهيم يجب أن تصحح" الذي نطق من مهد الوحي
والحق، بكلمة حق، أراد بها جمع شتات الأمة. كما نالوا من رموز الفضائيات
الرشيدة ومشايخ الاعتدال كالبوطي(الشامي) والحبيب الجفري (اليمني) وكل من
أجرى الله على لسانه كلمة الحق، ولو أغضبت بعض المتشددین، ممن أعماهم
التعصب لآرائهم رؤية الحق حقا والباطل باطلا، فأفقدتهم لسان الأدب و راحة
العقل و شعلة الفهم و مبيض الحكمة.

- بينما نراهم يُشيدون في المقابل بأفكار الشيخ ابن تيمية (دون فهم قصده العميق من اختلافه مع غيره من العلماء من رموز التوحيد) لأنه سبق وأن قال في إحدى كتاباته، عن طبيعة نيات من يُحيي المولد النبوي جُملةً: "... والله يُثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع"...

- كما أشادوا بآراء بعض السلفيين من أعلام الإعلام المتشدد، الذين ما من شيء يُعاب عليهم سوى أنهم لم يميزوا بين الصالح و الطالح في لحظة كبوة، فأتوا بذلك على الأخضر و اليابس، مُعززين أقوالهم بآيات قرآنية وأحاديث شريفة تخص في مجملها المشركين و بعض " أهل الكتاب"، قد ساقها أمثال الإمام الشاطبي، صاحب كتاب: "الاعتصام" الذي سقاه فيه أغلب العارفين، ممن لا ذنب لهم سوى أنهم تميزوا بالاجتهاد الذوقي، للارتقاء في مراتب الدين ومقاماته، فجعلوا لاتباعهم منهجاً تقويمياً وتهذيبياً، بُغية الوصول بسلوكهم إلى الكمال الخُلقي و بقلوبهم إلى الصفاء الوجداني وبعقولهم إلى معرفة حدودها، لحد إيقافها خاشعة في محراب التفويض، عند عتبة: (ليس كمثله شيء) و (لا فاعل إلا الله) و (الله الفاعل لما يريد) و (لا معبود بحق سوى الله) تنبيه هام لجميع الأطراف:

1- إن الاحتفال بالمولد النبوي يدخل في "باب الامتنان وشكر النعم"، لقوله جل من قائل في الآية: 164 من سورة آل عمران: {لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية}

2- لا يُعد عيدُ المولد عيداً دينياً ثالثاً، بعد عيدَي (الفطر والأضحى) كما يُروجُ له الخصومُ و المتشددون، ولا عيداً تُحاكي به مولدُ المسيح - عليه و على نبينا أزكى الصلاة والسلام- ولكنه في الواقع مجرد تخليد لميلاد النور والرحمة والحكمة والسعادة الحقيقية، مع إقرار العبودية والبشرية للمصطفى الأمين، صلى الله عليه وسلم..

3- ليس الاحتفال بالمولد النبوي زيادةً في الدين، كما يدَّعي المُشكِّكون، ولا هو تكميلة له، لأن الله تعالى قد أكمل دين التوحيد وختم به الرسالات مصرحاً بذلك في محكم كتابه تعالى، في "حجة الوداع" ولكن الاحتفال به، إنما هو إحياءٌ للسيرة النبوية وللقدوة الإسلامية الشريفة، لربط الحاضر بالماضي والتابع بالمتبوع، و هو بحق اجتهادٌ مشكور، في الولاء و الحب و التعظيم. و كلُّ نيةٍ مشبوهة أو مُبطَّنة، فهي مردودةٌ على صاحبها، تُدينه وحده ولا تُدين غيره معه، إذ في الإسلام: { لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى } صدق الله مولانا العظيم.

4- يشهدُ الواقع المرير على أن هناك بدعٌ فعلية، لا يمكن تجاهل وجودها عند بعض الطوائف الشيعية المغالية، لما نلاحظه بوضوح فجَّ، على شاشاتهم الفضائية و في طقوسهم المشبوهة، التي تُحسبُ و يا للأسف على الإسلام، بحيث

تُخلُّ بصفائه ونقاؤه من الشوائب والتخلف والسلبية المقيتة.

5- وهناك بدع أخرى أقلُّ فضاة، لكنها تحمل معالم التخلف لما فيها من جذبة و رقص وترنح، وهي أقرب ما تكون إلى حلقات الزَّار منها إلى إحياء ذكرى المولد، قد انتشرت خاصة في الشرق الأوسط بحكم الجوار والتعايش مع بعض مَنْ لازال يحتفظ بأعراف الموالي، المستوحاة من دياناتهم وطقوس أعيادهم السابقة.

6- إلا أن هناك مخالفات لا ترقى إلى البدعة، ولكنها تُدرج في خانة "إيمان التعلق" والمناسبات، لا عصيانا ولا تطرفا ولا حتى وقاحة، بقدر ما هي من باب الغفلة والتسوية واللامبالاة، كعدم الاهتمام بالسيرة النبوية في سائر السنَّة، وهذا شبيه لحدِّ ما بمن يهجر تلاوة القرآن وصيام التطوع وصلة الرحم بعد رمضان، أو كمن ينسلخ من أخلاقيات الحج، شيئا فشيئا بعد الرجوع إلى الحياة العملية. أو كمن لا تنهيه صلواته عن الفحشاء والمنكر، بعد الخروج منها مباشرة...

7- ولكن ما علاقة يا تُرى من يُحيي المولد بما يرضي الله وعلى مراده تعالى، بكل إخلاص وإتقان ومثابرة، ولا ينسى الجماعة والصحة الطيبة، طيلة العام وعلى مدار الساعة ومع كل نفس، تلاوة وسيرة وأدحا وسماعا ذوقيا (لا غناء فيه ولا طرب ولا دفوف ولا صخب ولا تنطيط؟) أو ليست براءته تبدو واضحة من دم الوقية والتسفيه؟

وها هو الإمام أبو محمد علي بن زكريا المنبجي قد أنصفهم، رادًا على الخصوم في كتابه: "اللباب في الجمع بين السنة والكتاب"، قائلا: "- ومن ترك العمل بالمرسل (الحديث)، فقد ترك أكثر أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو الوليد الباجي: "- ولو تتبع أخبار الفقهاء السبعة وسائر أهل المدينة والشاميين والكوفيين لوجدت (أئمتهم) كلهم قد أرسلوا الحديث." ثم هذا "عبد الله بن عباس" - رضي الله عنه - مُسنِّدُه من أكثر مسانيد الصحابة - رضي الله عنهم - وقد ثبت بخبره أنه لم يسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا نحو من سبعة أحاديث." انتهى (الصفحة: 84 من كتاب: "حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف" (لعالم الحرمين الشريفين: محمد المالكي الحسني).
تحذيرٌ لطيف:

قال رسول الله (ص) في حديثٍ أخرجه الترمذي في كتاب: "البرُّ والصلَّة" (باب: ما جاء في تعظيم المؤمن) سعد رسول الله المنبرَ يوماً، فنادى بأعلى صوته:
- "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤدُّوا المسلمين ولا تذرُّوهم ولا تتبَّعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم، تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته، يفضحه، ولو في جوف رحله." انتهى.
إذن أخي المسلم، العامي أو المثقف أو الفقيه حتى، اعملْ بهذ النظم البليغ الذي لخص حديثَ نبيك صلى الله عليه وسلم) فهو لا محالة للبيب ورع، كان أنزه ما

يكون المرء، حين أنشد قائلاً:
كن كيف شئت، إن الله ذو كرم
وما عليك إذا أذنبت من بأس إلا اثنتين، فلا تقربهما أبداً
الشرك بالله والإضرار بالناس

نحلة الشيخ البعقلي: الأستاذة زينب أبو عقيل

جلسات مع سوق الأسرار

1 - مراتب النفس المؤمنة وعلاقتها بنظرية البقاء بعد الفناء

يقول العلامة الشيخ البعقلي رضي الله عنه في هذا المضمرة في كتابه سوق الأسرار :

فاسمع قوله جل وعلا: " يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي":

فالمطمئنة، هي نفس المخلصين، والإخلاص نهاية الأولياء، أهل المجاهدة، الملاحظين ثواب أعمالهم، وقد أمرها الله بالرجوع، بالانسلاخ من التعرض للثواب. فإن رجعت، بحيث رضية بما رضية. مولاه، سميت راضية، مع نسبتها العمل لنفسها، فيجب عليها التوبة من نسبة العمل لغير الله، جل وعلا. فإذا تجردت من نسبة العمل لها متبرئة من نفسها، عالمة بأن الله هو الفاعل المحرك والمسكن لها، والذي أنطق كل شيء، وقال لأعز وأكبر العبيد: { - و ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } . ودخلت عائمة في بحر الوحدة، وحدة الذات و وحدة الفعل وتبين لها أن الخلائق كلها فعلٌ للحق، بمنزلة كتاب مكتوب بمداد واحد، و اعتقدت أن تجزئة الكتاب إلى حروف وأحزاب وجمل، لا يخرجها عن المدادية، و لا عن كتابة الحق جل وعلا ، ونسب لمولاه ككل ما رآه. ولا يرى أحدا قادرا على حركة أو سكون، بل يكون كل شيء عنده هباء، في شمس دخلت بكوة، لا وجود له وجودا يحصل عليه، بل هو مبصر غير ثابت ولا نافع ولا ضار، ويعتقد وجود الهباء

وجودا خياليا، وأنه لم يكن إلا الحق جل وعلا، وأن كل ما ظهر، إنما ظهر من النور الإلهي، تكن مرضية عند مولاها، فإذا رضيها، يسحقها ويدقها دقا ناعما حتى يفيها لأوصافها ويميتها ويربيها بالسقي الإلهي بدخولها في حضرة صفاته وأسمائه. فإذا تنورت و صفت و امتلأت بما أفيضَ عليها من حضرة أسمائه وصفاته، تجلت وتقوت لحمل أثقال السر الإلهي، فإذا أمرت وأودعت و ختمت وانغلت وانبرزت انتقلت للمعرفة الإلهية، فتكون جامعة مانعة محاطة بسيادة سيدها، مرادة معظمة سائرة لما لانهاية له من بحور أنوار الكنه الرباني، فافهم واجزم وهو قوله تعالى « وادخلي جنتي » أي جنة معرفته، وادخلي في عبادي. وهذا هو العابد لله لا غير، فإن غير هذا عابد لهواه، مستحق غضب ربه - لولا رحمة الله عليه - فعمله بالقصد معه عين القطع، لكن سبق ما سبق في عمله الذي لا يبدل. إن كل من عمل عملا وأتقنه دار له الفلك بسهمه.

2 - الإقبال على الله بالكلية يخرق به الحجب لعبد الصادق: (ص: 54 - 55)

...فمن أقبل على الله بكلية، أقبل الله عليه، وأقبل معه جميع خلقه، وقد علمت قبل أن كل خطاب ورد مما يرشد لطلب الثواب على العمل، إنما يسلك به مسلك الصبي الهارب من حضرة كافله، وأن كل ما ورد عن نبيك مما يرشد له، فإنما هو من باب التربية بصغار العلم قبل كبارها.

- فإنه أمر أن يخاطب الكافرين بما يفهمونه ويستقذرون لهم حظهم الذي هو صنمهم واعتقادهم الفاسد، من نسبة الولد له - جل وعلا - وغيره مما يرشد لسفاهتهم، بقتل أولادهم إملاقا وغيره لعلهم يرجعون. وأن يخاطب العاصيين بما يقطعهم عن المعاصي بإنذار وتبشير. وأن يخاطب التائبين بما لهم من النعيم المقيم ليثبتوا على الطاعة. و أن يخاطب المخلصين بما يقطعهم عن ملاحظة الثواب بعملهم، وأنهم ليسوا أهلا له لولا فضل الله جل وعلا. و أن يخاطب أول المقربين من الدرجات الأربع لما لما يرشد لهم لنفي نسبتهم العمل لأنفسهم، وأن لا تأثير لمخلوق أيا كان { - والله خلقكم وما تعملون } . وأن يخاطب خاصة المقربين من الدرجة الثانية بأنهم ما امتثلوا أوامر الله بأنفسهم ولا اجتنبوا نواهيها بها، بل بمحض فضل اصطفائه: { - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } . وأن يخاطب أهل الدرجة الثالثة من المقربين، بأن الشوق هو عين الإرادة، والإرادة حجاب عظيم، وأن المشتاق لا زال مع بقية. وأن يخاطب أهل الدرجة الرابعة بأن اللذة التي حصلت لهم بعبادة ربهم ليست منهم، بل منه جل وعلا. وأن يخاطب العارفين الموحدين بأن الله وحده في ذاته وصفاته وفعله، فلا عمل لأحد في توحيد، بل هو الذي وحد نفسه جل جلاله، فلا يحتاج إلى من يقول هو واحد، ولا من يُقر به، ولا من يفوض له، ولا من

يتوكل عليه، فهو الغني المطلق، هو الصمد عن كل شيء، فيغنيه علمه بكماله بلا مكمل ولا من يقول كاملاً....

3 - المجتهد وغير المجتهد (ص: 57)

فاعلم أن الشريعة ذاتٌ واحدة لها، عينٌ قائمة بأركانها، كساق شجرة تفرعت منها غصون متعددة بحسب الغلظة والرقّة، ولها ثمار مختلفة، وأذواق مخالفة: فمنزلة المجتهدين إطلاقاً، كغصون الشجرة الكبار التي تفرعت منها غصون متعددة. ومثل العلماء غير المجتهدين، كمثل غصون رقاق، مدركها رقيق لطيف، لا يدركه إلا أهلها لرققتها. والغصون كلها مألها للشجرة، والشجرة مألها للماء وهو الذي انزرع فيها جهدٌ روحها. فمثل صاحب الشرع كمثل الماء، والماء منزل من الله جل وعلا، ليظهر به من رجس الكفر والمعاصي والحظوظ.

4 - أقسام المعاصي: (ص 58)

فالمعصية على أقسام:

مغلظة: وهي الكفر المبني على الجحود، ومتوسطة: وهي المعاصي المبنية على اتباع الهوى، لا الاستكبار على الربوبية، وخفيفة: وهي الحظوظ المبنية على طلب الثواب (الذي هو من شأن المستأجرين لا للعبيد).

فالمعاصي للسيد من حيث هي، مذمومة مُطرّدة من حضرة الحق: فمن قويّ مدرّكُه من كبار العارفين، ينظر ببصيرته إلى جميع الشجرة، ويغترف من أصلها، ويوجه كل ذوق إلى أصل غصنه، ويفهم أسرار الشريعة كلّها، ولا يبقى عنده نوع خلاف، فيعبد الله عليها كلها من غير تنزل عن مقام عزيمته.

ومن لا ذوق له إلا في مقامه، يتكلم بحسبه لا غير وينصف. وربما يشغله العلم عن

العبودية. والمطلوب منه أن يتقن عمله بإحسان الوجهة لمولاه، فينقله بحسن أدبه

لما هو أعلى، فإذا رُقّي يرى ما دونه جهلاً محضاً، حتى يوصله له، ولا يتحقق بما

بيّناه ويصدقه، إلا من أعرض عن نفسه كل الإعراض وأقبل على مولاه كلّ

الإقبال. فإذا استولى على عين الشريعة بانسلاخه عن نفسه وزهد عنها، بحيث لا

يحبها ولو طحنت بأرْحية الأقدار، يتبين له ذوق ثمار الشجرة الربانية، فتكثر

الواردات بحسب أذواق غلّتها، فينبعث عنها استعظام نعمة المنعم، فيشاهد سيده في

كل ذوق، كروية وجهه في مرآة، فينظر محاسن الألفاظ والأقدار، فيرى قدراً

كالجبال تسقط عليه، فيشتاق للاندقاق، ويفرح بالمراسخ الإلهية، كما يفرح

صاحب الحجاب بالجنة. فكلما جاءت لجة تعرض لها تلذذاً وإبراداً، بإذلال نفسه

لمولاه. ولا يرى راحتته إلا في الصواعق والعتاب، علماً أنه ليس أهلاً للانبساط،

فيفرح بعذاب حبيبه، علماً منه أنه ما عذبه إلا ليقربه، فبقدر الجلال يكون الجمال،

فترى صاحب عين الشريعة يُصدّق كلّ قول ويعده صحيحاً، ويستغرب مدرّكه، حيث كان في المقام الأدنى، ويشير بعبارته لمقام من فوقه.

5 - مقام القطبانية العظمى

فترجع الشرائع عنده (إي عند القطب) شريعة واحدة، والأنبياء ذاتاً واحدة، يجمعهم مقام الدلالة على المولى جل وعلا، وتصير عنده الطرق طريقة واحدة لتوصيل كل طريقة إلى الحضرة القدسية، ويرى الشيوخ كلها ذاتاً واحدة لقيامهم بالدلالة على الحبيب جل وعلا، سبحانه ما أجله وأعلاه، وأظهره وأخفاه. ويرى المؤمنين الموحدين من آدم إليه ملّة واحدة، متصوار كرة العالم بمنزلة ذات واحدة، موجهة لسيادة مولاها ذليلة خاشعة مطمئنة، مرتعدة خائفة عابدة متبرئة من الحظوظ الجوهريّة، معترفة بالملوكيّة، راضية بصواعق سيوف الأقدار المالكيّة، فيتحرك بتحرك الكرة، ويعبد معها موصوفاً بذلتها، فينصبغ بانصبغ عبوديتها، فيصير شعرة من شعراتها، فيحصل له فضل جماعة شعراتها بمقام التعاون. فيفاض عليه في كل رعدة فيوض سائر أخواتها من أعضاء الكرة، لأن الكرة بمنزلة ذات رجل مركبة من أجزاء متوقف بعضها على بعض، فكل جزء يمد الكل. ويفاض على الجزء ثواب الكل، لمقام التعاون مع قصد ذلك: الجزء: ' - إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .'

. فإذا فهمته، علمت أن بركة العارف مُدّة لسائر الأكوان، وأن الأكوان كلها ممدة له، أخوة في التعاون على التعلق بالربوبية
وأما الجاهل بهذا، فلا أخوة مع الكرة، ولا معاونة بحسب نيته، فلا حظ في ثواب الكرة جزءً وكلاً، فإذا تمحضت لمولاك يُمدك الوجود كلّه وتمده، ويعطي لك مثل هذا. فإن نويت النيابة عنه في تحمل الزُّلازل الجلالية، تُعط ثواب من أسقط فرض كفاية عن ذرات الوجود، وتحظ بمحبتك أهل عبوديته ويُتوجك بتيجان رؤوس أهل مملكته، فترزق عزّ السيادة الإمدادية.

6 - الفناء في خدمة السيد هو فناء العبد في خدمة ربه: (ص: 61)

فاعلم أن العبد ليس من شأنه الطلبُ بباطنه، إنما شأنه التضرعُ بظاهره، معولاً على خزائن سيده مستسلماً لأمره، فإذا طلب يقول لسان سيده: أقبّل على شأنك فإنك بمرأى مني، فلا تحتاج إرشاداً لحوائجك. فاشتغل بما طلب منك من الخدمة والأدب، فإنما أنت آلة للخدمة لا غير، فلا يغرنك أن تعاميتُ عنك في حال الإساءة، وفي حال العجز والكسل، فمقصودي فيك أن تُفني أوقاتك في الخدمة التي ملكت لها، وليس من شأنك أن تباسط السيد ولا أن تلبس إزاره و رداءه من أوصاف السيادة. فإن قبلت على شأنك، تصلك نفقتك التي ضمّنتها لك السيادة يوم ملكت، وأقبلك ولا أبالي، بعد أن قرّبتك بعمل. بل أعظمك من بين الممالك، فيعظّم أمرُك عندي. فشأن العبد أن لا يحوج سيده كأن يقول له: افعل كذا، لأنه عرف

خدمته يوم مُلك: ففي وقت الحرث، يهيب للحرث بلا أمر، لأنه أذن له فيه بالملك. وكذلك بقية الأسباب. وينسب حوائج سيده لنفسه ممتلئاً قلبه بسيده وخزائنه، من غير تعويل على الخزائن، لأنه لاحظ له فيها إلا بالملك. فيمتلئ قلبه بمحبة سيده، ولا ينسب الكمال إلا له لأنه مالئها، ولا يرى فضلا لأحد عليه إلا من حيث الوساطة من سيده، فيعظمها جريا على الأدب مع سيده الذي أرسله له. فيغضب بغضب سيده، ويفرح بفرحه، ويحب كل من نسب لسيده، ولو ربحه وبلده وكتبه. فتجده يعظم كلب سيده وينسبه لنفسه ويغار لكلب سيده. فلا يتركه لأحد ولو الموت دونه، لأن من أهمل كلب سيده، فقد أهمل شأن سيده. ومن جملة الشؤون، جميع ما نسب له، فيعد كل من يعظمه من صاحب، بمنزلة سيده لسيده. ولا يرى كلب سيده إلا بعين الإجلال والمحبة، فيفنى في حسن كلب سيده مضرباً عن خلقته ولو مشوهة، بل يستحسن كلما ثبت لسيده، فيمتثل أوامر سيده، بحيث لا يشتغل ببشريته، ولو كان مرجوما ببول أو غيره، حتى يرضى سيده أو يشير له بالراحة تصرّيحاً أو تلويحاً، فيفهم أمر سيده، لأنه فان في سيادته، فلا يرى عزاً لنفسه خارجاً عن خدمة سيده، بل عزه محصور في نسبه لسيده العظيم الشأن.

7 - من عظم نفسه خسر مخدمه (ص: 63)

فيشرف (العبد) بطاعته (بطاعة سيده) ويتجنب البطالة، لأنها سبب المقت والإهمال. فيزين العبد نفسه بالنظافة ويحمل هيئته بنعمة سيده التي أفيضت عليه منه، فإنه يحب أن يراها عليه حال المشاهدة. ولا يهمل نفسه بالمقت، بالتقشف مع فيض مدد سيده عليه، فإنه سمّ إذ قد يظهر إضاعة سيده له. ولا يشتكي لأحد ولو ضيقت عليه طرق النفقة، بل ولو تتابعت عليه مقام سيده بالنكال، بل يصبر و يعرف أنه شأن العبيد. ولا ينزل حاجته على أحد إذ لا حاجة له، وإنما حاجته حاجة سيده، فليترك لسان المملوكية يتكلم مع حضرة إمداد سيده، فإنه مقبول بالإحسان والافضال ولا يطمئن بحالة ألبسها، بل يخاف من سيده من أن يعريه من العمل بحيث ينزعه من عمل الخدمة ويولي غيره، أو يجرده عن عزه الذي له السيادة بسيده، فيخاف أن يُخرجه عنه ويطرده: فهذا أدبه، فمن قدم أمر نفسه على أمر سيده، فقد أخسر الميزان، وذلك قلب القضية (وقلب البرادة) معناها أنه استعمل برادة سيده فوجد بها ماءً فأراد أن يسقي، فقلبها للأرض، فإنه لن يملأها ولو بقي مائة ألف عام، لأنه عكس القضية، فلو أحسن وجهتها على السقي، لسقاها نفساً واحداً. فكل من عظم أمر نفسه وأهمل أمر سيده، بحيث جعل أمر نفسه مقصوداً بالذات، وأمر سيده أمراً زائداً (ثقيلاً عليه يعمل به بكلفة) وأمره سهلاً (حلوا ولو بمشقة) فيكون حذقاً في طرق نفسه، جاهلاً بأحكام سيده متراخياً فيها (معترراً بالجهل وأنه مشغول بنفسه) فذلك دليل على انطماس البصيرة منه. وعلامته أنه إن اشتغل بذكر سيده يثقل عليه وينام ويكسل، وإن اشتغل بنفسه نشط ولو بقي الليالي

ذوات العدد لا يغلبه النوم، وذلك لأنه عاشق في حظ نفسه، فإن فيها من دنيا وأخرة
ولهو وقيل وقال.

8 - العاشق راحته في معشوقه: (ص: 65)

والعاشق راحته المعشوق، فلا يهتم إلا بأمره ولا يمتلي قلبه إلا به. فإذا ذكر سيده
الغير المعشوق، تتأقل وتمارض و شعر بالعجز، فصار هواه سيده الذي يعبده،
بينما أمر سيده مطروح عنده، وهو عين الحجاب، والحجاب بينه وبين سيده بعد
النسبة لا غير (وما ذلك إلا لأنه عكس القضية) فلو أنه بقي عليها (أي على تلك
الطريقة المعكوسة) عمر الدنيا ما عرف نقطة ماء (أي ما حصل على نقطة واحدة
من الماء)، مع أن الماء يظل فائضا دوما على وجه الأرض (بينما الماء يضل
ينهمر من فيه الجرّة دون جدوى). فلو تلقى من مربّ عارف كيفية الغرّف من
الصفاء، لا غترف ساعة وارتوى.

9 - أدب بساط الظهور: (ص: 65)

فعليك بتعظيم أمر سيدك من صلاة وذكر، وبجعل نفسك في يد سيدك، فإن ردك
إليها وأذن لك في قضاء حاجة نفسك، فامتثل على الفور، ثم توجه نحو سيدك. فإذا
سمعت نداء سيدك، وهو المؤذن، فافزع وغب عن أمرك كله وإن كنت جائعا. فإن
الحاكم الذي يحكم عليك إذا أمرك بالإتيان إليه في ساعة معينة لا يقبل منك قبلها
ولا بعدها، فيقول لك: إن كنت الأمر فاقدم في الوقت الذي عينته لك، وإن كان
الأمر أمرك، فتربص، فعن قريب يحل البلاء: { سنفرغ لكم أيها الثقلان }.
فالعبد إذا أمره سيده فامتثل ظاهرا وباطنا، فرحاً حيث استعمله سيده، وعمل العمل
المتقن الذي يدور له الفلك بسهمه. وحرث مثلا حرثا متقنا، وزرع زرعاً جيداً في
بلدة طيبة، ونقاه من شوك العلل النفسية، وحصده ودرسه وذراه ونقاه تنقية أخرى
من الحجارة، وطحنه طحنا متقنا وغربله عملاً محكماً، وعجنه عجنًا محكماً،
وطبخه طبخاً محكماً، يدور له الفلك بغلة عمله، وهو ذوق سرّ عمله مع رضَى
سيده. و أما إن أمره سيده فقتل عليه العمل وعمل عملاً بالخيانة وغش فيه، ويرد
باطنه كلاماً على سيده، فينسب الظلم لسيده ويخاصم باطناً، ولم يزرع بذراً متقناً،
وإن زرع أهمل تنقيته، وإن نقى فرط في جمعه ودرسه وتذريته، فإنه مستوجب
عقوبة سيده ولا غلة له، بل حظه العقاب من سيده، فهذا شر الممالك. فافهم ترشد:
فإذا فهمت علمت قوله جل وعلا في بساط الظهور: { وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون }.

10 - أدب بساط الحكمة: (ص: 67)

وأما بساط الحكمة الإلهية: "ما خلقتك لأن تريد، وإنما خلقتك لأظهر فيك آثار
قدرتي واعلم أن الإرادة والتعرض بالأعمال، من أكبر العوائق على الحضرة".
ثم إنه جل وعلا خلق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم قائداً لحضرة الله، وخلق

إماما للضالين قائدا لحضرة غضب الله، فكل منهما يدل ويرشد إلى وصفي، كرمه وانتقامه جل وعلا.

فالنبي يبين الطريق لأهل البصائر مجردة من الإرادة ويؤمنني على لسان الله أهل الغفلة لسياسة الرجوع من غفلة الحظوظ. فرجع البعض من سنة غفلة المعاصي وسكر الغفلة الحظ الأخرى أو الدنيوي، فسكر البعض السكر الذي يخفى إلا على العارفين، فيبقى في غفلة السكر النجس المحرم في دخول حضرة الصلاة وحضرة الله تعالى: " ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى "

وأعظم السكر الخفي سكر المقاصد، بحيث يعبد لنفسه لا لربه. فيجب عليك أن تتجرد من هذه الداهية الخفية، ليصح الدخول في الصلاة، صلاة المقربين. وإبليس يدل بخيله ورجله ووسوسته ومعه لا يقطعه بقوة بل بوسوسة لا غير. فليس لإمام المتقين أن يدخل إيمانا في قلب أحد إكراها، وليس لإمام أهل الحظوظ أن يدخل الشقاوة في قلب أحد، بل الفاعل المختار جل وعلا واحد في الحضرات كلها.

11 - إفراغ القلب من الأغيار: (ص:68)

فمن امتلأ قلبه بالله يسقه إمام المتقين، ومن امتلأ قلبه بحظوظ يسقه أمام الأشقياء للشقاوة. فنامرك أيها المشفق على نفسه بالتأمل بالعقل الإيماني، فإنه يتبين لك أن ما كان عليه عباد الحظوظ الدنيوية والأخروية رجس من عمل الشيطان لأنه سبب غضبه. وأفرغ قلبك من كل غير وغيرية وكن عبدا حرا من رقب الأغيار، مقصورا على ما خلقت له من عدم القصد والإرادة، تكن عبد ربك إضافة محضة مكتسبة التعريف، وإلا تكن مضافا لفظيا، ولا تفيدك إضافتك للحق إلا أنك عبد القهر لا عبد الرضى.

فاعلم أن الطريقة عندهم تتبع أقوال وأفعال وأحوال وعوائد وأخلاق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم، فهي الطريقة الحقيقية النافعة المستقيمة. فنتبع أقواله وأفعاله فقط هو الشريعة العمومية. فأحواله صلى الله عليه وسلم مبنية على صرف العبودية من غير إرادة. أرأيت، هل كان يريد أن يكون نبيا في الأزل، وقد كان نبيا في الأزل أو ان الإرادة؟ وهل كان يريد أن يكون أفضل عامة الخلق فيه وقد كان فيه قبل وجوده؟ وهل أراد أن يكون أعلم الخلق فيه قبل ظهوره؟ كل ذلك مفاض عليه من بحر الفضل قبل ظهور أو ان الإرادة.

12 - كان الله جل جلاله وحده في ملكه فأراد أن يعرف بنفسه: (ص:69)

فاعلم أن الله جل جلاله منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله فهو الكنه الساذج الصرف المتجرد عن كل ما يدركه العالمون: فهو القديم وغيره حادث أحدثه كيف أراد وأحدثه مع الزمان والمكان والأعراض.

فهو الحق جل وعلا وغيره مثل ظل غير ثابت كجرم في الضحوة، وله المثل

الأعلى والدليل وما يدرك من المدلول حادث أحدثه معه، فلم يكن من يتحرك ويسكن ولا من يعرف جلاله فأحب جل جلاله أن يُظهر وَصْفِي: كرمه: الإحسان لأحبابه والانتقام من أعدائه .

13 - أولية النور المحمدي وتفئق العوامل منه: (ص: 69 إلى 79)

سبق في علمه جل وعلا أن يُظهر أولاً فاتحة الوجود وخاتمة، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأظهر بفضل بلا سبب تقدم نوره، وأدرج فيه نور حبيبه إدراج الظل الخيالي الذي لا يتصف بظلمة ولا نور ولا باتصال ولا بانفصال ولا بوجود ولا عدم، فقواه بنوره المكنون وسقاه جل وعلا بما شاء وكيف شاء، فانصبغت نورانيته صلى الله عليه وسلم وتميزت، فسقى بما شاء الله بلا سبب ولا إرادة حظ، فتعالى جل وعلا عن الأغراض والتوقف عن الأسباب والوسائط. فسبحان من قهرنا بالظل فلا تُعرف ماهيته، ثم تنزلت نورانيته صلى الله عليه وسلم، فانصبغت صبغا لطيفا، تميزت فصارت محمديّة، فتميز بحر الألوهية من بحر الخليقة، وهو عين المحمديّة، فلا يبغي بحر الألوهية عن بحر الخليقة، ولا العكس بحسب ما تعلق به إرادته، لا بحسب ما يدرك وكيف، فبحر الألوهية التي هي عين أم بحور الأسماء الحسني، يمدُّ ويسقي بحر الخليقة الذي هو عين النبي المكرم المطلسم قدره لكل عارف أيّا كان. فامتزجت مدادية بحور الأسماء التي هي الأفعال في كنه نوره صلى الله عليه وسلم وآله، فتنزلت حجابيته صلى الله عليه وسلم بقهر إلهي، بلا إرادة ولا تعرض، فانبسطت واتسعت وأشرق إشراق الظلية المخلوقية، فكلما وصلت ظليته فهو " قاب قوسية " حد ملك مولاه فيه، فهو صلى الله عليه وسلم ملك الله، مظهر أسمائه وصفاته، فانغمست ظليته صلى الله عليه وسلم في بحر رحمة الإيجاد والإمداد، فتكونت روحه الشريفة من بين الرحمتين. فهي أول الظهور من حضرة الطمس، فسقاها جل وعلا بما شاء الله، قدر ما شاءه، فأوقفها بين يديه جل وعلا، تُقبلُ وتُدبرُ في حضرتي الجلال والجمال. فعرقت بما دهما من الجلال وثبتت بما غشيها من الجمال، فسقطت نقطة عرق مناسبة لجريمة روحانيته صلى الله عليه وسلم على كيفية لا يدركها العارفون، فهوت في هواء ملكوتيته جل وعلا، فتلقته رياح الأسماء وذرتها نشأ وإيلا، فأمرت مطر الرحمة، وهو أول مطر، فانجمعت أودية بحار قدرة الحق جل وعلا، فصارت بحرا مشتملا على ذرات وأعراض وأخلاق ولوازم ما يكون إلى ما لا نهاية له من أزمنة الدهر الآخرة، والأزمنة والأمكنة والجوهرية والعرضية، وجميع ما يسمى ملك الله، فانزعت الأكوان من مائته صلى الله عليه وسلم، ووصل ما وصل وفصل ما فصل، واتحدت الانفعالات واستوتت في أصل الظهور باعتبار الفاعل. وتخالفت أجناس المظاهر المنبعثة المكونة من الحضرة المحمديّة: فهو عين الأحمديّة التي هي عين الكنه، فعل جل جلاله. هذا ترتيبا لملكه لا غير من غير

داعي. فتكونت الأكوان كلها من كونية ماء نقطة عرقته صلى الله عليه وسلم، فصار أصلاً أصيلاً لكل عدم مظهر بتأثير أسمائه جل وعلا، وصار مثبتاً لمراد الله في ملكه، وانحجبت عن الخلائق كلهم حجابيته ووساطته وأصليته، فصار أفاض العارفين تومئ إليها من وراء سجب الحجب النورية، فخلقت العوالم من سماء وأرض وبحر وسائر عوالم الحق المتوالية لسماؤها وغيره، فصار صلى الله عليه وسلم روحاً للوجود ومفتاحاً له وخاتماً، بحيث لم يتقدم له ظهور ولم يتأخر عنه ظهور. بل ما ظهر وما بطن إنما ظهر فيه وبطن فيه. فصار صلى الله عليه وسلم هو الكون الأمر الإلهي، فهو المخاطب، وهو الواصل وغيره منفصل بحجابيته صلى الله عليه وسلم، مُدرجا في نوره بين يدي مولاه.

فغاية ما يُدركه العارف، ولو سيدنا إسرافيل إن حصل له الأُنس بسيد جل وعلا في وسط وعائه صلى الله عليه وسلم، فتنبعث له جيوش الجلال في مظليته صلى الله عليه وسلم. فكل ذلك بتقدير الحكيم بلا سبب ولا داعي ولا غرض. فخلقت الملائكة وجعلت سهم الرحمة لا حظ للغضب فيها، ما عدا الثقلين (الإنس والجن) فلما عزل الحق جل وعلا إبليس بحسب ما أشرنا له أنفاً، وولّى صفيه (أب أصل الوجود طينا) آدم عليه السلام، وخلق من ضلعه زوجته حواء، فجعلها لبناته عادة. فما من زوجة إلا وقد خلقت من ضلع زوجها، أنس سيدنا آدم بها في الجنة المقامة للعدل والخلود، فأصدقها الصلاة على (ولده طينا) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوحى إلهي. فجعل الله جوهرة الوجود باكورته قبلة سيدنا آدم، به يهتدي وبنوره يقتدي وبه يعبدُ ربّه، وبه يفصل أحكام الله: فكان آدم قبلة الخلائق، فيه يستضيئون وأمره الحق أن لا يغفل عن الوساطة، فان غفل ساعة تُجر عليه المقادير بغفلته عن قبليته، وإن ثبت بحضرة ربه ترتباً لملكه فكانت نعم الجنة لطفاً لا تضر ولا تصدّع ولا تسهل ولا تُفجر دماً ولا قيحاً. وأُنبت فيها الحق شجرة غليظة (تاريخ أربعين عاماً قبل وجوده) فعرضها الحق جل وعلا مقدره بغفلته عن الوساطة. فلما وسّوسته سيدنا (حواء زوجته) بوسوسة اللعين، جالت قوته في الاجتهاد ذاهلاً عن الوساطة الممددة له، فعام بنفسه في بحور الأوامر ولم يجد نهياً مصرحاً به عن حرمة الشجرة، مساعداً حرمة المؤمنة زوجته، فخفيت عنه اللوازم التي تكفل بها الشيخ المربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأكل من الشجرة بعد أن قرر له الحق جل وعلا أنها مُسهلة وليست من جنس نعم الجنة، وإنما نبتت قرب خلقه. فلما أكلها مساعداً زوجته المساعدة للعين الذي غرها بالقسم بالله، فخفي عنها ألا يكون في طوق أحد أن يتجرأ باليمين الكاذبة لقوة إيمانها وأهبلها حزمها بجلال الله وأنه لا يُطيق أحد أن يحلف بالكذب فصدقته، فلما مضى الأكل منهما ضحك إبليس عليهما، فلعن إبليس فسرت قوة الشجرة الإسهالية في عروقتها قبل إيناس بدنهما بالإسهال، فحصل إسهال منهما ووجع عظيم كوجع الولادة، فتوجع

آدم فأراد أن يقضي حاجته فهربت منه الجنة بنعيمها وثيابها، لأن حضرة القدس لا تصلح للقاذورات الشجرية. فلما تبرأ منهما نعيم الجنة وعظم الأمر سمي: { وعصى آدم } بخفاء اللوازم التي هي أن من أكل من الشجرة الغليظة يخرج من الجنة بسبب القاذورات، وأن من أكل من النعم اللطاف، يبقى في الجنة لأنه لا وجود لسبب خروج. فأخرجها الحق إلى حضرة الدنيا التي تسع الإسهال. ففرق بينهما حين الهبوط، لتقع الألفة وينسى آدم وسوسة حواء له، فتخف المصيبة بطلب بعضهما بعضاً، فلما التأما نسيًا شجرة الخروج، شفقة بهما. فدلّه الله على الحروف الفلاحية وغيرها، وتحمل المشاق، فاجتباها الله بفضلها ولعن إبليس، بعدله وجعل الله سيدنا آدم أول خلفائه في الأرض والسماء، فجمع له بين النبوة والرسالة والخلافة العظمى عنه (تعالى) في كل أمر. فولد له ولدٌ كثير مع حواء، فمات ثم قرّت الخلافة في ولده شيت، فإدريس، ثم نوح. وفي زمن نوح كفر من كفر (بتبديل الأحكام الشرعية) وجدّد وأبى النسخ (نسخ الشرائع) واعترض أن الله يفعل ما يشاء، فاشتد الكفر (ستمائة سنة) فأهلكهم الله بالطوفان، ثم ولد لنوح أولاده وهي الباقية لا غير. ثم إن كل نبي ورسول تقدم، إلا وتنقطع شريعته بموته. ولم تعم شريعة أحد بل خاصة بما قصه الله لنبيه، فولد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم العرب، وإسحاق بني الأصفر وبني إسرائيل. وكثرت النبوة في بني إسرائيل، تبيكتنا عليهم ونكالا. وبقيت العرب في غفلة من الفترة (من شريعة إسماعيل) وبقيت فوضى لا نبي لهم من زمانه إلا ما كان من بعض القرى (مدين ونواحيها، وثمرود ونواحيها، وعاد ونواحيها) قد خصها الله بالنبوة الخاصة. فانقطعت النبوة بعده بموت صاحبها (لأنه ما من نبي إلا وتنقطع النبوة بعده، بمجرد الموت) ولم يتوجه للعرب نبوة بني إسرائيل ولا بني الأصفر، لأن صاحبها كلف بقوم مخصوصين، إلى زمن مخصوص. ولم تكلف العرب من زمن إسماعيل إلى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم تكليف أصول من العقائد ولا تكليف فروع من القواعد، بل هم سهم الرحمة بجنسية أصل الوجود صلى الله عليه وسلم، وغطاهم الله بفضلهم ببركة نبي يظهر فيها فإذا ظهر ينس الشيطان من كفرها كما ينس من شقاوتها قبل ظهوره، لأنهم غير مكلفين. وعليه، فمن مات قبل البعثة أو بعدها، من قبل أن يظهر له في باطنه حجة البعثة، مات على الفطرة الإسلامية وإن كان يحارب لأنه غير جاحد، والكفر الجحود وإن أشرك في عبادته فهو خفيف في حقهم، لأنه لا تكليف إلا بالعقل، ولا عقل إلا بالشرع. فبحر الشريعة الربانية هو الذي يمد البواطن، فيسمى نور الشريعة عقل تكليف: فمن كان يقتل أولاده ويدفن بناته أحياء (بالوآد)، ويستحل الزنا في الأمهات والبنات، ويستحل إراقة الدماء، فهل يسمى عاقلاً؟ ومنه تعرف أنه لا عقل لأحد إلا بما أفيض عليه من حضرة الشرع، ولا شرع في زمن العرب، فمن تبينت له الحجة البالغة في أمر النبوة، نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وجد بعدة، فهو الكافر والجاحد. فإن استند في زعمه إلى كتاب، انقطعت أحكامه بموت صاحبه، يسمى كتابيا كافرا و جاحدا ولاية سيده، حيث جدد عزل صاحب كتابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصل الوسائل كلها، فقد ادعى أنه يحجر الله تعالى عنه - علوا كبيرا - حيث لا يعزل من أراد ويولي من أراد، وقد أراد أنه عزل كل نبي بموته، وقرر شريعته بنبي بعده إلى سيد الكل، فإنه جل وعلا عمم رسالته في سائر أجناس مملكته، تكليفا للثقلين، وتشريفا لغيرهما، ما دامت أيام الدنيا والآخرة، وإن انقطع التكليف بالموت فلا يظهر بعد الموت إلا بحور أنوار الشريعة ونتائجها.

وعليه فكل من أسلم وحسن إسلامه، لا ينبغي أن يُنسب للكفر، لأنه لم يكفر، ومن تبين له وجه الحق وجدد وإن أسلم، يوافق يعد كافرا جاحدا متمردا. فالصحابا لم يكن فيهم كافر من سيدنا إبراهيم إليهم. فافهم وسلم تسلم، وإذا كان أجداد الصحابة من العرب كذلك، وأحرى نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو أفضل الأنساب وأفضل القبائل والشعوب والأحياء. فنسب القطبانية الخلافة، وحواشي نسبه الشريف الأمراء و الأبدال، وأرحامه من الأمهات والجذات والمرضعات والأخوات من الرضاعة، صديقات من كبار أهل التصريف، وهي مرتبة دون القطبانية وفوق الولاية، فحفظ الله - والله الحمد- نسب إسماعيل من رجس الكفر، ببركته سراية القطبانية فيه. فمن كان من أهل الكتاب قبل ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن هو اتبع نبيّه فهو مسلم، وإن جدد نبوته بعد وضوح الحجة فهو كافر. وبعد عيسى- عليه السلام- انقطعت رسوم التكليف عندهم بالرفع بين أظهرهم، وكفر من تعمد قتله من الطائفة اليهودية، ونجى الباقي. فعمّ أهل الفترة العيسوية سهم الرحمة إلى بروز صاحب الشرائع كلها. فمن تبعه منهم فهو مؤمن ومن جدد فهو كافر. فلا يُعذر أحد منهم بالجهل، لأنها تبينت لهم في كتبهم القديمة، وإنما حرفها سفهاؤهم بسبب الطمع، وذلك شأن الطمع وأهله، وأهل الرياسة، فلما أينعت بساتين الصحاب الأجلة، جاهدوا في الله حق الجهاد، فعاش من بعدهم في بركتهم إلى يوم القيامة.

وإنما أطلنا النفس وإن كان مستطردا، تنبيهها على دائرة الفضل الكنزية المكتومة. وهي أن الله جل وعلا فعل ما فعل بلا سبب ولا عمل ولا قصد ولا مجاهدة. بل إن شؤون الحق قد برزت من بحر فضله على أيدي أسمائه جل وعلا: فيجب عليك أن تعول على فضله (تعالى) لا على عمالك، لأنه هو الفاعل له لا أنت و إلا تبعت نفسك بلا طائل. فإذا عرفته، علمت أن مقصودنا أن تسلك الطريقة الأولى التي كان عليها صاحب الشرع و أصحابه.

14 - الطريقة الأولى التربوية

فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس في غفلة وإشراك وقتل بنات وأولاد

وزنا واستحلال الدماء وغيرها، فنبههم بالسياسة الربانية، فساسهم وراضهم حتى ارتاضوا بأنواره وحكمته وبقوة عقله المكتسب من الشريعة، حتى أحبوه وتركوا ما كانوا عليه. وتجنبوا في محبتهم ما نهاهم عنه، وفضلوه على أنفسهم وأولادهم وأموالهم. فامتلات قلوبهم بمحبته التي هي عين محبة الله، فلم يكن لهم اعتراض، غير امتثال أوامره واجتناب نواهيه. ولم يكن تقدم لهم ذكر جنة ولا نار ولا ولاية ولا كشف ولا سر ولا مراقبة ولا مشاهدة ولا معاينة ولا حال من أحوال السالكين، بل فاجأهم الحق على يد النبي صلى الله عليه وسلم، وصدقوا برسالته، مُمتثلين له مذعنين فانيين عن أنفسهم، تاركين ما كانوا عليه ببركته: فتعلموا الشريعة، من أكل وشرب وجماع وحركة وسكون. فلا يعد أحدٌ منهم نفسه عالما كيفية الاستبراء من البول حتى يتعلمها منه، ولا ما دونها أو فوقها، من المعاملات والعبادات والعادات والعقود. فسلموا أنفسهم له وتركوا عقولهم معه. ولذلك ما كان يسألهم عن أي شيء من الأيام والشهور إلا ويقولون: الله ورسوله أعلم. ولم يكن فيهم من يدعى معرفة أقل لأشياء. فاشتغلوا برضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجنبوا مساخيطه: فهذا دأبهم، إذ لم يقصدوا سلوكا ولا وصولا، وتجردوا من رذيلة الحظوظ النفسية، وصمموا على كتاب الله مفسرا بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم لا بإشارتهم. فلما تحقق يقينهم، أزال الله الحجاب لكثير من الصحابة، حتى اتضح له ما قرره صاحب الوحي، فلم يزد ما شاهده معاينة على ما عنده من صريح كتاب الله. وعرف كل واحد منهم أنما ذلك ببركة متابعة حدود النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يزدهم ذلك إلا متابعة واتصالا بالنبي صلى الله عليه وسلم. فثبت أمرهم ورسخت أقدامهم وتفجرت بحور صفائهم، من غير تعريج على شيء غير المتابعة: فلم يكن فيهم مجذوب ساقط التكليف، لأنهم كاملون مكملون مهتدون هادون، واستقرت بحور الشريعة فأمدت قلوبهم حتى إن أحدا لو بقي يُلمي أسرار الشريعة عمر الدنيا والآخرة ما نفذ عُشر ما فهمه من إشارات وتصريحات وتقريرات وعوائد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم. وتقوت أشباحهم وأرواحهم حتى أن أحدا منهم ليقاتل أهل جيلنا مثلا وحده وبعده، فلا ينسب شيئا لنفسه. فلا يقول: فهمت ولا علمت ولا تلقيت من حضرة غير النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، بل ذلك كله عين الشريعة. وإن فهموا ببواطنهم شيئا، فيردونه لها: فبقيت الشريعة محررة، وبقي قصدهم محررا مجردا من الأغيار، مضربين عما ظهر لهم من حقائق الشريعة، منسبين الحقائق للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإن وقع لهم الفتح الأكبر، وصرّفهم الله في ملكه، فلا يُعدون أقطابا وأفرادا أو نجباء وأولياء وأوتادا فلا يراعونه، ولا يُخرجهم ذلك عن ثباتهم ولا ينطقون إلا بالرواية عن الشارع، فبذلك سماوا الصحابة دون غيرهم، فإن صاحب يشترط اتباع المصحوب فيه. والتابعون (من القرن الثاني هـ) إنما صحبوا الصحابة لمشاهدة أفعالهم ومشافهة

أقوالهم، ولاحظ لهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يشاهدوه ولم يتبعوه حق الإتيان، وهكذا للقرن الرابع. فتابع التابعين لبس حلة التابعين، والتابعي لبس حلة الصحابة، والصاحبي لبس حلة صاحب الشرع. فشتان ما بين المقامات، وإن كان المورد واحدا. لكن لما عبد القرون الثلاثة الله على وجه التجرد من كل حظ زائد عن التعلق بالربوبية بملازمة حد العبودية، سُموا قرونَ الفضل، فلا يوازنهم غيرهم ممن بعدهم، إلا من سلك مسلك إخلاصهم بتوحيدهم السنة العبودية لحضرة الربوبية، امتثالا ومحبة واستحقاقا وغلبة، فهذه هي الطريقة الفضلى الأولى الواضحة، الفضلية الخفية السمحة الإبراهيمية الأحمدية المحمدية المستقيمة، التي سلكها من أنعم الله عليهم: من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

15 - إخلاص الوجهة سر إخلاص العبودية

ثم إن ما ذكره لسان الشرائع من الفضائل والثواب والعقاب والخواص مما ينشط المقرب، ما ذكره إلا لإيضاح ما أفاضه الحق بفضله على قلب نبيه، إظهارا لمرتبته ولخزائن أسرار ملك الله، ولتفجير عيون الجادين بالله لا بالنعم، فعظمت نعمة الله عليهم، ولم تزل لهم النعم عن أفراد الوجهة لمولاهم، لتمكنهم في رسوخ الشريعة ومعرفتهم مقاصد الشارح. فاعتبروا بالظواهر البواطن، عالمين سر السجود الذي هو التذلل، والإفراغ والوقوف بجميع أجزائه بين يدي مولاه، عالمين منه أن لا فضل للفوق على الأسفل ولا العكس، وإنما الفضل ما فضله الحق. فسرى سرُّ العبودية في بواطنهم، ولم يضرهم ما سمعوا من جنة أو نار ولا قصور، فاستلذوا خطاب سيدهم، واجتهدوا في أمر العبودية، فصار فتحهم هجوميا بلا قصد. فلما تمايلت القلوب على الفتوحات الدنيوية بالجهاد الإسلامي، صار الناس يجاهدون للأموال ولإظهار مرتبتهم لتكون لهم الكلمة السلطانية.

16 - بداية تأسيس طرق أهل الله المعالجة لانغماس الناس في الحظوظ الدنيوية:

(ص:84)

أدبرت ساعتها القلوبُ عن الله وأقبلت على شهواتها، فنزلت مصيبة على العلماء العارفين، فاجتمعوا لاستنباط طريقة تمنى الناس بالمراتب الكونية الآخروية السرية الباطنية، فاستنبطوها على وفق ما أملوه على الحظوظ، قصدا منهم لترقيق القلوب، فبنوها على أهل أحوال من الصحابة. فمن أراد أن يشرب بعض أحوال سيدنا علي- كرم الله وجهه- فليفعل كذا، فإن عليا يفعله، وليذكر كذا، فإنه يذكره (وقس عليه بقية أهل الفتح من الصحابة). فلما ظهرت الطريقة على ذلك النمط على أيدي كبار العلماء، نهض أهل الجد والمحبة في الولاية الباطنية، وتجاذبتها أيدي العارفين، فشرطت لهم الأئمة شروطا

من حزم وسهر وقلة الأكل وزهد في الولاية الظاهرة وصمت، مستدلين لهم بنصوص الشريعة التي تقدم لنا أنها تخاطب كل أحد، فصيروا لهم الفضائل عين عروسهم. واجتهدوا وتصدرت أئمة الحق لتربية الخلائق على وجه السياسة الشرعية الإيمانية. ومقصود الأئمة شغل نفوسهم بالفضائل والخواص، حتى يرق حجابهم بالجوع والسهر والعزلة والمجاهدة.

فقسموا النفس إلى سبعة مواقف: فنقلوا العابدين من مرتبة إلى مرتبة بالرياضة، فإذا نقله من مقام استقدر له ما دونه ويعدّه نجسا، حتى يقطع ستة نفوس، فإذا قطعها تبين له لوائح القرب من وراء الحجب الرقاق، فيسأل شيخه عنها فإذا تحققها بين له شيخه إنما تعبت نفسه فيما مضى من العبادة فالآن يستأنف العمل فيأمره بالانسلاخ من الإرادة والركون إلى غير مولاه، ويطبق له عليه صريح نصوص الشريعة، فيتجرد ويبقى مع ربه عبدا فانيا مع قطع النظر عن الغير، خائفا من سلوكه فيعده معصية ويُنزل الكلفة التي تحملها من الغيرية، ويسلم أمر الخلق كلهم لمولاهم، ويشاهد عين الوحدة، فإذا تحقق بمقام الفناء عن الغير، يقول له طبيبه الآن قد أيقنت بسعادتك، حيث لم تمت في سلوكك قبل الوصول، فلو متّ متّ على غير أدب، وعلى غير توحيد الوجهة، فيوصيه أن يراعي حق الإخاء. فيشتغل شيخه بغيره، ويأمر بعد الثبات بنفع الخلائق بمثل سلوكه وسياسته، من غير تبين المقاصد في وسط المقامات حتى يوصله، لكن شيخه يأمره أن يلازمه ليلا يموت على الحظوظ، فإذا رآه قرب أجله، يجرده بالهمة ويموت مجردا منها. هكذا شأنهم- رضي الله عنهم- : فوصلت بها أقوام وضلت بها أقوام، من المسيئين مع أساتذتهم.

وكثر الشيوخ وتفجرت بحور السلوك، وفرح الدين بالقادمين من تيهاء الحظوظ، بعد أفول شمس الكاملين، فانتظمت سحائب أودية القلوب، وأينعت النفوس وصارت أرواحا بعد تحكّمها على الأرواح.

17 - قطعت الطريقة خلقا كثيرا عن إبليس فلم يقدر عليهم.: (ص: 86-87)

واتضحت الطريقة الثانية بالأطباء الأجلاء، فقاموا على ساق الجد في إيصال الواردين، وقطعوا معهم مهامه عقبات العطب، فجعلوا لهمتهم السيارة النافذة سر قوامهم، وجعلوا ما في الدنيا من النعيم زادًا للمسافر، وقطعوا النظر عن زخارف الدنيا ونزلوها منزلة الزاد للمسافر. فالمقصود به سدُّ الرمق لا غير، للتقوى على ما هم عليه من السر، فجدّوا سيرهم مسلّحين أنفسهم وأتباعهم سيوف العز والأذكار، فنصبوا عدوهم إبليس قدامهم (نصب أعينهم)، ينظرونه بعين رؤوسهم، فشغلوه وقطعوه بسيوف المجاهدة والمذاكرة أسرار الشريعة. ولم ينصبوا أنفسهم في مقابلة عداوته، لأنه إن فعلوا صار هو الشاغل لهم، بل نزلوه منزلة الكلب العقور ينبح ويلهث، ولم يلتفتوا لنباحه، عالمين أنه يضبع (يؤثر بشدة) من لا عقل

له من المتاجرين معه، بل تركوه وراءهم واجتهدوا بسيرهم حتى قطعوا ما يمكن أن يصله إبليس وجنوده، وقال: "هيهات هيهات، انفلتم مني، وهذا جهدي فيما كلفت به من الإغواء، فلو كانت لي طاقة أو قوة لقطعتمكم، ولكن لم يجعل لي الله إلا حيلة أغوي بها من كان على شفا الحظوظ ووجدت فيه زبالة نجاسة الغير والغيرية." فالمريدون في حال سلوكهم وإن كانوا متلطفين بأنواع النجاسات الحظوظية، لكنهم في كنف المجرّد من الحظوظ يحمي بنوره أناسا كثيرة. فلما أخذ السالكون راحة من اللعين وفرحوا ناداهم شيخهم.

18 - تنبيه المریدين الصادقين من أهل الباطل الحقيقيين (ص: 88)

فإن العدو الحقيقي (أيها المریدون الصادقون) هو ما بقي قدامكم (أمامكم)، وأما اللعين (إبليس) إنما يكيد كيدا ضعيفا بالوساوس الواهية. فاعلموا أنكم دخلتم بلد الهلاك والعطب والقطع، وكثر الآن المحاربون على دينكم. وهم المراتب الكونية من فتح وولاية وكشوف وأسرار ورقائق وانقياد الروحانيين لكم. فجدّوا الآن وأخرجوا جميع ما لديكم من القوة وآلات المحاربة معها، وزيدوا في مكينة (آلة) همّكم زيتا وفحما. وقدموا كل مدفع وصواعق للقتال، واجعلوهم أمام رحالهم في حيطته.

وسلّوا سيف الغضب على من ركن للمراتب، فجاءت جيوش الأسرار لكل واحد من المریدين في كل جهة ظاهرا وباطنا، فخاطبهم كبيرهم بالتجرد مما سوى الله، مانعا إياهم من كل سر، حاملا عنهم أذاها بهمة العرفان، فساسهم وراضهم بسياسة ورياضة وصبر لجفائهم، بالركون لغير مولاهم. فمن أصل ومن هارب ومن مسجون عند كبيرهم، فنصب المواعظ والأدوية وتنزل للقتال عنهم. فمنهم من قال: (أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون). ومنهم من امتثل وتجرد فوصل لحضرة السيادة. ومنهم من بقي مع الكشوفات وخرق العوائد والتصريف بأنواع الأذكار، فلا يزال الكبير ينافح عنهم حتى وجدهم بنوا معاقل الراحة، وترفها بملك الروحانيين والانفعالات، ولم يجد لهم سبيلا لتمكنهم، فتركهم على ما هم عليه، وأدخل معه طائفة قليلة، وهذا دأبه مع كل الأمة قانعا بالعارف الواحد إذا وصله، لأنه منزل منزلة كل الأمة.

19 - قطع الطريق عن الدجاجة: (ص: 89)

فمن بقي مع مراتبه يدعي أنه من الكاملين فيعيش مع المكونات عيشا رغدا ولم يشم رائحة المعرفة والرضوان، يتصدر للمشيخة لما رآه على يده من الانفعالات والكشوفات فيضل السالكين، ولذا كثر المدعون للمشيخة وقلّ العارفون لأنهم أحرار. والحر قليل فاختلطت طرق البطالة بطريقة الصفاء. ومن الناس من يستعمل الأذكار العظام التي يشترط فيها الإذن، بلا إذن أو حتى بإذن، مع مخالفة

الطيب بما ظهر له من المجاهدة والمكابدة، ففاضت عليه بحور الأسماء و سلبته عقله، حتى صار بهلولا لا عقل له ولا تكليف، وهذا مقصود الشيطان.
ولم تكن المجاذيب في الطريقة الأولى أصلا، بل هم مجردون من الإرادة، عبدوا الله حتى أتاهم اليقين، فيستوي عندهم الفتح والحجاب، مستسلمون لمولاهم، فكثرت الضالون المدعون الجذب الإلهي. فكل من خرج عقله لدنيا أو موت قريب، يُدعى مجذوبا.

ولازال العارفون يحمون الطريقة الثانية بهمهم وأقوالهم حتى وصل من أراد الله أن يصل عليها... وجرّدوا سيوف التذكير والتحريض على السلوك بها ليلا ينقطع العابدون على الوجه الأكمل، فتقوم قيامة العامة، وتنصب عليهم رزايا الجهل والاعتذار.

وامتدت غصون الطريقة الثانية (إلى حدود خمسين عاما من القرن العاشر) تمايلت الناس على الخواص والجدول (الطلاسيم) والاستخدامات التي رمتها السنة الشريعة. وكثر العطب، وتركوا من يرشدهم للطريقة وترأس كل واحد. ومنهم من دخل الخلوة بلا شيخ أو بلا أدب لمخالفة شروط شيخه للأموال ليبنى زاوية يجعلها شبكة الدنيا يتمتع بها، فحصل له مراده بكثرة الظلام، فاجتمع عليه السفهاء وجمع أموالا تركها من ورائه، فراج إبليس في أولاده فزين لهم التقاتل عليها بينهم، لأنها مصيدة النجاسة. وقد يزيل صاحب الزاوية بعد أبيه جلابب الحياء، وهناك الشريعة، ويجبر الناس على خدمته، وإلا أهلكهم بدعاويه، فيأتي إبليس فيسوق له كل غناء ليلا تنقطع طريقة الضلال: فكثرت الخبث وتركت الصلوات في أوقاتها، وضيعت أركانها، وإن صلاها، فينقرها، لأنه يصلها على عادة آبائه لا غير، ولا يجد حُرمتها في قلبه.

وظهر المرابطون المدعون طريق الخرق، فتنافسوا تنافس العجل على النجاسة، وانسدت المسالك وانغلق الأبواب وبقي العارفون يبكون على الدين في كل عصر، ولم يجدوا مَعِينا لهم على نصرة الدين. وقطع البدع والشبه، وحسم مادة الضلال التي هي عين الحظوظ، فتبرأ الكاملون من الدجاجلة، فمالت الناس لهم وتركوا العارفين، وصارت زاوية العارفين كالباطل، وزاوية المبطلين صحيحة مستقيمة، فقال أبو مدين الغوث: "انقطعت الطريقة انقطاعا كلياً، ولم يبق إلا الرجوع إلى الله بهمة العارفين".

20 - كثرة الصلاة على النبي موصلة صاحبها.

وحال من يدعي الطريقة الصريحة ما هو إلا مدع لا غير ولا حظ له فيها. ونهوا عن اتباعهم وأمرؤا بطريقة العامة، إن لم تكن الأولى، ثم أخبروا بأن الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم- تقوم مقام السلوك، فأكثر البعض، فوصلوا بها

فمال الناس إليها، وكثر ستر الله على الأمة ببركتها إلى قيام الساعة، فله الحمد على دوام فضله.

الجلسة 21 - ظهور الطريقة التجانية من فوق حجب الغيب لتعيد للدين أصالته. وهذه فترة العارفين، انقطعت طريقتهم (إلى حدود السبعين من القرن الثاني عشر هـ) فجدد الله من رد الطريقة الثانية إلى الأولى، وحكم بأن من سلكها بعد لا يحصل إلا على التعب، وطرزها بالنصوص القرآنية، فتجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرج كأنه لم يمت وأفاض على صاحب الطريقة الأولى جميع علومه الظاهرة والباطنة وباطنة الباطن، وهو العلم الثالث الذي اختص به وأفاضه على حامل الطريقة الأولى التي هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريه ويبين له القربات بنفسه، فعلمه كيفية الصلاة والتيمم والوضوء والغسل والسجود والركوع مشافهة (و يقظة لقوة سراينه فيه) حتى أقر له صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجميع الطرق والأحوال، ونزله من صفاء التربية في كل قول وفعل وأمر ونهي: فمن أخذ عنه، فقد أخذ عن يد صاحب الوحي نفسه، ومن امتثل أمره، فقد امتثل أمره صلى الله عليه وسلم، ومن خالفه فقد خالفه... فضمن له صلى الله عليه وسلم أنه لا تنقطع طريقته إلى قيام الساعة، وأن يبقى فيها سره صلى الله عليه وسلم، وأن لا تكون التربية بغيرها إلى قيام الساعة، فضمنه كله وضمن له أن يكون له واقفا على رأسه دائما، وعلى رأس أتباعه، بحيث لا تخطر بدعة في طريقه إلى قيام الساعة. وضمن له أن ينوب عنه صلى الله عليه وسلم عند المهالك والأمور العظام، وأنه هو المربي صاحب الطريقة، وأنه مقدم له في إيصال مدده صلى الله عليه وسلم، فتصدر لها مبينا وجهها مجردا كل من قصده من نجاسة الحظوظ، وأفردت الوجهة لله الحمد في زمانه لمولاهم، وظهرت أنواره صلى الله عليه وسلم كزمان الصحابة لأنهم نهجوا طريقتهم، واتضحت المقاصد و عبد الله على الوجه الأكمل، فتميز الخبيث من الطيب، فبرزت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ووصلت العرائس بلا قصد، بل بفضل إلهي: فتعطرت الأصقاع بترك كل مقصد مع الله، عالمين بأنه هو الفاعل في الحضرات كلها، فعرفوا الله وعرفوا وسائطه الفضلية، وعرفوا بأن الله هو الظاهر هو الباطن في حضرة الوسائط، فعظموا وسائطه صلى الله عليه وسلم على ما ينبغي من كونهم يحبونه لمحبة الله له، ويمتثلون أمره لأنه خليفته، ويصلون عليه تعظيما لله ولخليفته، فجعلوا أمره أمر الله، وجعلوا شيخهم خليفة عن الخليفة الأعظم صلى الله عليه وسلم، فابتدروا لأمره وجعلوا أمره أمر الله لأنه خليفة خليفته، كل ذلك سياسة لملكه جل وعلا من غير افتقار إلى واسطة، بل ذلك حكمه في الأزل. وعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوا شيخهم لله لا لحظ زائد، لأنهم تبرعوا من الحظوظ أولا، فلا حظ يبقى لهم مع ربهم ولا نبيهم ولا شيخهم،

فصحت الوجهة للحضرات كلها، ونزلوا كل حضرة حضرة ربهم: فإذا كانوا في حضرة نبيهم جزموا بنبياة عن الله لا غير، وتجردوا من كل ما شغلهم عن ربهم، وكذلك حضرة الشيخ، فصفى المشرب وهنأوا المساغ، وفاض كوثر الإخلاص على الوجه الأكمل، فذابت النفوس بنور الإخلاص، إخلاص العارفين الذين قطعوا النظر عن غير مولاهم، فتتابعت الفيوضات الإلهية النبوية الأحمدية، واستمرت وتكاثرت الواردات وامتدت، ولم تجد الولاية والكشوفات محلا يقبل غير ربهم، فصارت الولاية تاجا على رؤوسهم، ولم يبالوا بها إلا على وجه امتثال أمر ربهم. فهم غرقى في مرضاة ربهم، فنزعت الحظوظ من بين أظهرهم، وصارت الطريقة طريقة المنعم عليهم في الفاتحة طريقة الفضيلة، وهي التي أرشد الحق في أول كتابه إليها: صراط الذين أنعمت عليهم. ولم يرشد لطريقة العمل لأن العمل أمر مكلف به جبرا، والفضل له جل وعلا، فلما رفعت الله الحمد كلها للأولى، وبقي العمل فيها على عمل الصحابة، فما فعلوه هو الطريقة، وما تركوه بدعة، وإن كان مستحسنا في الثانية، لأن الثانية لا يُحتج بها على الأولى.

22 - الطريقة الأولى طريقة الصحابة: (ص:96)

بل الأولى (أي الطريقة) حاکمة مستقيمة، لأنها طريقة الصحابة و التابعين، مجردة من العمل والخواص والتعرضات بالأعمال، بل النية فيها لله ولرسوله. والثانية في أول وهلة الدنيا وما يعقبها من الزخارف والجنة: ' - إنما الأعمال بالنيات. فمن كانت هجرته لله ولرسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه! فهذا الكلام الشريف منبع الطريقين: الكلام الأول للأولى، والثاني للثانية. لكن الثانية في الأولى بالله لا بتعلمهم.

23 - نفحة تجديد الدين بواسطة الطريقة التجانية رضي الله عن صاحبها: (ص: 96 و97)

فصار الدين قويمًا بعد أن كثر المدعون، وانقطع الدجاجلة عن الأولى، لأنهم لا يدعون دعوى، بل هم عائمون في بحر العبودية المحضة. جرد منها من يكلؤها إلى يوم القيامة لقوة أنفاس صاحب النبوة فيها، حتى إن صاحبها الذي كلفه صاحب النبوة يصرف هم الناس لها، فما مات في حدود الثلاثين من القرن الثالث عشر حتى ترك من أصحابه عدد أصحاب صاحب الوحي مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا كلهم شاهدوا طلعة وجه خليفة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم، لأن همهم في التوُّل به كالصحابه لا غير، حتى أن احدهم لو أفيضت عليه القطبانية العظمى لا يعرج عليها بل ينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو خادم لحضرتة، فصاحب الشرع هو القطب، والقطب الزماني نائب عنه، وهو فان فيه، فلا يقول

برأيه إلا ما قاله له صاحب الوحي، ولا يتصرف حتى يأذن له، لأنه فإن في رؤيته، فمنهم من لا تفارقه طلعه كأنه لم يمت صلى الله عليه وسلم، ومنهم تلاميذ وأصحاب وفقراء، وعين لكل واحد أخاه من الصحابة دينا ومقاما، فمنهم من نزل منزلة أبي بكر، ومنهم من نزل منزلة عمر، ومنهم من نزل منزلة علي، ومنهم منزلة عثمان، إلى آخر طبقات الصحابة. فمنهم من بشرهم بالجنة كالعشرة، ومنهم من بشرهم كأهل بدر لا يضرهم ما فعلوا، ومنهم من قال أنت منا كسلمان لمحبتته، ومنهم من قال له «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش أقلالا» كبلال، ومنهم من تقضى الحوائج بذكره كعمران بن حصين، ومنهم من صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم كأصحمة، ومنهم من سل سيفه كعلي، ومنهم من قال فيه هو مدينة العلم إلى آخر مزايا الصحابة الكرام، فرجع الدين لله الحمد كبدينه (بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا) وقد رجع والله الحمد، وغربت استغراب العقول أن تظهر الفيوضات في هذا الزمان (سلمان الفارسي) كفيوضات الصحابة الأجلاء، وغربت في الصدر الأول ظهوره في ظلمة الجهل، فكانت غرابة هذا الدين ونفاسته أمرا عجيبا يستعظم أمره كل من لم يطلع على سر الله فيه، وأما من أطلع الله على لمعان جوهره صاحب الدين، وذاق سره فلا يتعجب في أمر الدين في كل زمان.

24 - حفظ الطريقة الأولى وإظهارها في آخر الزمان.

إذا علمت أن صاحب الشرع هو الذي اجتهد في نصرته الدين في كل زمان، وإنما كثر المدعون للمحبة والمجاهدة في الطريقة الثانية، وادعوا الترقية بأنفسهم وهممهم حتى أعياهم ما هم عليه، تركهم حتى قنعوا من الإرادة، ولم يحصل لهم ما أملوه للكسل والفشل بالتنازع والدعوى، ثم قام بعده صلى الله عليه وسلم وباسم طريقته المستقيمة التي أرشد لها الحق في الفاتحة، وبين مراسيمها وشروطها وحدودها، ونزل عليها للحفظ علي بن أبي طالب سالا سيفه على من غير وكدر وجهها، فيقسم من حيث لا يدري، فتتصب المصائب في ماله وبدنه ودينه حتى يرجع إلى أمر الله ويتوب من التغيير والتبديل، فتغيرها بتخليطها بالثانية المستنبطة للحظوظ والمراتب في أولها، فكل من رأته من أهل الأولى تغيرت حالته حتى في ملبسه فاقطع بأنه تربي بالدرة العلوية أو بالسيف العلوي، كما كانت الصحابة يربون بأقوالهم وأفعالهم بالقصاص والحدود، والنبي صلى الله عليه وسلم كذلك في من أساء في هذه الطريقة النبوية، وهو حارس ذمامها وحدودها ما دامت الأرض باقية للبقاء غير معرضة للفناء، فتجد أهل هذه الطريقة ينفرون ممن يروم الدعوى ويقابلونه بعين الازدراء، لأنه خرج عن العبودية وصارت جنة فرحهم من يذكر لهم العبودية ويرشد لها، فكلهم شيوخ مربون بالفطرة النبوية، حتى أن

من دخلها ساعة مكانية تجده لبس حلة التبرؤ من الدعوى، مطبوعا عليها بسيف
القهر، فلا يقبل كلام من لا يحبها وينفر منه، في أول أمره ولذلك لا يسلمون كلما
خرج عن العبودية أيا كان، فصمموا عليه الله الحمد، بحيث لا يقبلون سحر ساحر،
ولا كهانة كاهن، ولا حماقة لاعب وجاهل... فتجدهم ينفرون بطباعهم السليمة،
وينفرون ممن شأنه ذلك. وعليه فلا يكاد أحدهم يصدق الدجال إذا ظهر، لما
صمموا عليه من العبودية الصرفة المفتقرة للسيادة المالكية في حضرة الربوبية،
لأن صاحب الوحي ضمن لصاحب هذه الطريقة أن لا يتبعه أحد من المتمسكين
بطريقته، لما جلبوا عليه بالفطرة السليمة، بإفراد الوجهة لنقطة الوحدة حضرة
الألوهية، ولا يمر الدجال في بلد أهل هذه الطريقة فيه، لأنهم يسفهونه وينسبونهم
للتشيطان... فيخسأ في كل بلد فيه أهلها الله الحمد، وكفى أهلها شرفا حيث سلموا
الملك كله لله، وكل من خرج عن حد العبودية يتلاشى أمره عندهم، فإنهم أنصار
الدين كما كانت الصحابة أنصار الدين، فتجدهم يأمرن بالمعروف والدين
لإخلاص الوجهة لحضرة الله جل وعلا، وينهون عن المنكر في زمن الصحابة
الكرام، وهو الإرادة وطلب الثواب عن الأعمال، والتعرض به لانفعالات الأكوان،
فهذا هو المنكر الغير المعروف في عهد القرون الثلاثة، فاستقامت الطريقة لله
الحمد وزال نقاب محياها، وقد تنقبت في زمن الصحابة، وعُرفت من وراء
الحجاب لكثرة أنوار خطاب الشارع، فلما انحجبت بالكلية إلا عن الأفراد بعد
القرون الثلاثة، عميت عنها البصائر فوقع ما كان حتى أزال صاحب الشرع
بوساطة خليفته المهيب للخلافة عنه في علم الغيب، فأزال كل حجاب عنها، فتبين
حسئها لكل عاقل، وضمن من الحضرة المصطفوية أن تدخل الأمة كلها أو جلها
فيها، كما دخلت في الإسلام أفواجا لوضوح أمرها، ونور أهلها بين سائر
الأجناس، وشيد مناطها لأن أهلها، إنما يسيرون بأرواحهم ويجتهدون بصفاء
بواطنهم من الغير والغيرية مع بقائهم على رسوم أحوال العامة، من ملازمة ما
يجب ويسن ويندب بلا إفراط ولا تفريط.

25 - صفات أهل الطريقة وآدابهم مع ربهم.

الطريقة الوسطية «كنتم خير أمة أخرجت للناس»، «ثلة من الأولين وثلة من
الآخرين» (خير الأمة أولها وآخرها)، ولا تكون الخيرية إلا بصفاء القلوب، فكل
ذي حرفة في حرفته، وكل ذي سوق في سوقه، وهو جوهر المعارف وينبوع
الفضائل والمكارم.

ولا يتنازلون عن أحوال العامة بظواهرهم وبواطنهم على إيمان إسرا فيل عليه
السلام: فإيمان إسرا فيل وجبريل وبقية الملائكة أن الله طبعهم على معرفته، وجرّد
ذواتهم السليمة من كل شهوة خارجة عن حضرة الحق، فوجهوا كلية أجزائهم

وأركانهم لحضرة القدس على سبيل القهر الإلهي، فجردهم مولا هم من حظية الجنة والنار والحظوظ، وصلاح إيمانهم وتمت نتائجه وعمت فوائده، فلذلك كانوا رسلا إلى صفوة الخلق الأنبياء الذين من طبعهم ما خلقوا منه من الترابية الدنيوية والأخروية بحسب الأصل، لكن منعهم مولا هم كل المنع من الميل إلى الترابية الأصلية، فوجههم كل التوجه لغاية العبودية حتى فاقوا بفضل الله إسرائيل وجبريل، لجمعهم بين البشرية والملكية، فأهل هذه الطريقة كلهم على إيمان إسرائيل المجرّد عن كل ما يكدره من الحظوظ النفسية، وإن رأيتهم على أخلاق العوام ظاهرا، فهم لابسوا حلة شيخهم باطنا (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)، فقلوبهم ممتلئة بحلة شيخهم بحيث لو زلزلت زلازل القيامة وأهوالها وشروطها لا تجدهم إلا على مذهب شيخهم، ولا يصدقون إلا على نهج العبودية، وتجدهم يحبون ما أحبه الله من الظواهر في الأزمان، فلا يتعرضون لحكم مولا هم بقلوبهم وإن كانوا ينطقون بألسنتهم بالوقائع الزمنية، فمرادهم بالنطق أن يرتبوا عليه الاعتراف بالحضرة، وحدة الألوهية، فتجدهم يتكلمون ويتبعون الأمر كله لله من غير تعرض لحمله بهمهم كأهل الإرادة في الثانية، لأنه ينافي العبودية، إلا إن تجلّى الحق فيهم فيفعلون بالله لا بأنفسهم، متبرئين منه جازمين بأن الله هو الظاهر هو الباطن في الحضرات كلها، ولا يسمون أنفسهم بالبركة وإن كانوا نتيجة البركة، فهم عينها في الحقيقة، ولا يكتبون الطلاسم بنية التصريف، ولا يظهرون بركة همهم في المرضى، بل يكون أمرهم إلى الله الممرض، ويتولون الدعاء له بالبوطن وربما يصرفون المريض لغيرهم مع أنهم دواؤه ليبراً عن غير دعواهم، فينسبون لبعض الخاصة منهم أو من غيرهم، ولذلك لم تظهر إلا ثمرات الكونية، فتجد الناس غير معتنين لزيارتهم، لأنهم لا ينسبون الأحوال لهم بل لا حال ظاهرا لهم، لأنهم ملكوا أحوالهم بمتابعة شيخهم، حتى إن من ظهرت الأحوال عليه يقابله العارفون من الطريقة بالجزر لينجزر، فيقولون له نحن نملك أحوالنا، حتى البكاء نملكه بحيث لا تقطر قطرة من عين أحدهم في المجلس ليلا يشار إليه بالأصابع (خصص بالبلاء من عرفه الناس) فمن أراد البكاء فليبك في خلوته مع مولا لا في جلوته، ولذلك تجد من غلب عليه الشوق لحضرة صاحب الشرع في وحدته، فإذا دخل عليه غيره من أهل الطريقة أو غيرها يمسح عينيه أو يتعمّل بأنه يبكي لفقدان أحد الأحباب) إذ ينسب تأثره للمصاب المزعوم الذي حل به) كالرزايا تسترا لحاله، أو كأن يتوجع وجعا وهو سليم منه. ويبالغون في ستر الفقر والسبحة وحال الطلب وحال الذكر، وربما يقطع مجلس حضوره بداخل ليلا يتبين أمره سترًا لمراتبهم العلية.

وأما أهل الطريقة الثانية، ففي حال سلوكهم يُظهرون أحوالهم وبكاءهم في المجالس، إما غلبة إن كانوا صادقين، وإما ليعتقد فيهم إن كانوا مرآئين، فانكب

الناس على تعظيمهم لما رأوا من ظواهر أحوالهم، لأن العامة إنما يعتبرون الظواهر ولا ذوق لهم في البواطن، فكل من ظهر أمره عند العامة ولم يكن مرشداً، إما لكونه مملوك حاله وهو ضعيف الأولياء، وإما لنجاسة مظهره لأن العامة لا يجتمعون إلا على من يناسبهم في الحظوظ، بأن يقول لهم ببركتنا تلد أولاداً، ويزيد مالك وتُدرك الولاية، وتكون في مالك بركتنا، أو بركة أسلافنا، فإن خدمتنا نحبك ونكفيك المخاوف ونخلصك من المضايق ونحوه، فتجد العامة يعظمونهم ويبينون عليهم الأبنية بعد موتهم ومقصودهم الغرض الفاني، بل حملتهم المحبة الحظية المنقطعة بانقطاع الحظ فتكثر عليهم الوفود جيلاً بعد جيل، فلو نبههم عارف عند ذلك بتصحيح الوجهة لله جل وعلا، بأن الولي لا دخل له في ملك مولانا، بل إنما تبع الكنائش الألهية، فما نقشه الله تبعه من والآه الله لا كل أحد من الصالحين، لأطبقت الأجيال على جهله، لأنه ما قرر لهم ذلك، فالعهدة عليه.

فالولي إذا أحب أن يكون له صيت وأن يعظم جانبُه بإظهار أثر التصريف الألهي للبعض يسلب من ولايته، فكأنه أحب أن يعبد دون الله وهو فرعون زمانه، فافهم ولذلك قالوا: (الشيخ من يُنهضك حاله ويدلك على الله مقاله)، فمن ذلك على الله فهو أخوك، ومن ذلك على غيره فهو شيطانك، ومن ساعدك على الحظوظ بأن يقول لك أعطيك كذا وأنا منقذك من المهالك بمهجتي ونحوه، فقد قطعك عن حضرة مولاك على أنك وجميع الأولياء في قبضة الحق، فالذي يجب في هذا أن يرد من اتهم بالولاية والتصريف وبولاية أسلافه قلوب أمة المختار الناصح صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الحق جل وعلا، وأنه المحرك والمسكن، وأنه عبد الله لا غير، لا دخل له في ملكه، وأنه عبد ضعيف اعتقد فيه الناس الخير بحسب ما يظهر لهم، وإن بركته هو أن يعينكم على صرف الوجهة والهمة لحضرة السيد، وإن أكبوا عليه يقول لهم فاذكروا الله يذكركم، واتقوا معاصيه وامثلوا أوامره، فإنهم لا يقنعون منه بذلك - أي العامة -، فإن ذلك يسمعون في المواعظ والخطب، ولا يعتقدون في الخطيب، بل هو إمام لا غير، وهذا يقضي الحوائج بنفسه، ومقصودنا إتقان الوجهة لحضرة المولى الواحد جل وعلا الظاهر والباطن، لا أننا أنكرنا المراتب الولاية في خلق الله، بل ملك الله يظهر سره على أيدي أوليائه، فهو الظاهر والباطن في حضرة أوليائه، فيجب إفراد الوجهة لحضرة الله وتعظيم أهل ولاية الله باتباع طريقهم القديم.

وأما أهل الطريقة الأولى فإنهم في أصل خلقتهم ودخولهم فيها تجلى فيهم صاحب الطريقة بحلته المجردة من غير وغيرية، فتجدوا عند تلقين العهد لما تقدم من أن النبي كثر تصريحه فيها وكثرت أنواره، بل ما من واحد دخلها أو أراد دخولها إلا وشوقه النبي صلى الله عليه وسلم بذاته الشريفة يقظة أو مناما بحسب الزجاجة على ما يطيقه، فينزع صلى الله عليه وسلم في أركانه الباطنية جميع الحظوظ،

ويقنع باتتباع الشارع لما وقر في صدره من الإيمان الكامل، ويسكنه صلى الله عليه وسلم بجيوشه وشريعته، وإن لم يقرأها فلا قصد ولا يجتهد إلا في إتقان الوجهة، فيفهم ذلك كله عند الإذن بلا معلم، بل بإلهام فضل نبوي، فتجدهم كالجبال الراسيات في إيمانهم، ولا يعرجون على مرأيهم، فيعدون كلام شيخهم أقوى ما يستدلون به على أحوالهم، فتجدهم ينقبضن عند المرئي وعند الوقائع الولائية، فيقولون لو كنا محبوبين عند الشيخ ما رأينا شيئا، ولا ولينا شيئا، فيتفطنون بالمكر عند مرأيهم، كما كان يقول من لا إيمان له إذا رأى واقعة أو كرامة، فيشهد على صحة طريقة شيخه بالرؤية الخيالية التي لا تتضبط في الغالب لاختلاف الأحوال، وذلك دسياسة نفسية حيث حكم على الشريعة والطريقة المستمدة لله بخيال أو شبهة، والعجب كله لمن يستدل بالمنام على اليقظة، وبأوهامه على كتاب الله وسنة رسوله وطريقة شيخه، فتجده يزيد في العبادة بشروط الطريقة بمنامه وينقبض عند عدم الرؤية. والرأي فلو صلح لاكتفى بما عند سيده من غير تعرض للغيبات، بعالم الخيال صحيحا كبيرا، لكن لا يفهمه ولا يعرفه إلا من فني عن عالم المشاهدة بإتقان الوجهة معتقدا أن لوازمه في قبضة سيده، وما على العبد إلا القبول والأدب لحضرة السيد.

26 - التربية الربانية الخاصة لشيخ هذه الطريقة والعناية به.

مثل الخلافة، كملك عظيم الخزان والعبيد خلف عنه. ونزل عبدا منزلته وجعل مفاتيح خزائنه في يده، وأذن له أن يمضي وينفذ جميع ما كنشه وكتبه في كتابه، ودفع له كناشا له وأمسك عنده كناشا كبيرا، قدر فيه جميع الأرزاق والوقائع الخلقية، ولم يطلعه على جميعه، بل أطلعه على بعض الإشارات له، تنبيهها منه على عظم ملكه وأمره، وعلى أنه إن بدّل في التقادير الرزقية يأخذه بالكناش المكتوم عنده، فيجعل كتمه الخوف مع مقام الملك، فيسهل التنفيذ بما عنده، وبين له مقصوده في أمر ملكه. فلما ظهر ذلك العبد بلباس سيده الذي هو الأمر والإمداد وهو من جنسهم، والسيد لا مناسبة بينه وبين أهل مملكته، لعظمة جلاله وجماله، حق على العبد أمر الخدمة بوساطة عبد منهم، وهو حجاب بينهم وبين قهر الملك، فخطبهم الملك على كرسيه بأن أمره وشؤونه في يد عبده الخليفة عن ملكه في كل أمر، فامتثل كل العبيد أمر السيد محبة، فمن جانسهم في العبودية فسرت البيعة في كل روح لأن الملك قال لهم فمن أراد بابي فليلزم باب خليفتي ورضاه، ومن أطاعني أطاعه، ومن رضي عنه فقد رضيت عنه، ومن قبله قبلته، ومن أعرض عنه أعرضت عنه، ومن عصى أمره عصاني، ومن عصاني أغضبني، ولوازم الغضب ظاهرة أعظمها التنحية عن حضرتنا وخدمتنا، ومن لم يدخله لا مطمع له

فيه، ومن أدخل علمت أنه حبيبه فأحبه، وهو خليفته وحاجب حضرته ودال عليه
ومعلم ومرّب.

27 - ترتيبُ المملكةِ الإلهيةِ وجندُها.

الملك غني بنفسه عن الخليفة ورعيته تهديدا للجميع، فعرف العبد الخليفة قصده،
وعرفت العبيد إشارته ببركة الخليفة، فحصل العلم القطعي للخليفة بأنه ليس هو
عين الملك، وإنما هو عبد مثلهم، وإنما تلك سياسة.
وعرفت العبيد بأن الخليفة ليس هو الملك، وإنما نزل منزلته في الأحكام، فنصّب
الخليفة حاجبا منهم يُظهر أمر سيده، فكله بجميع لوازم سيده، وأعطى له كناشا من
السياسة منسوخا بعضه من كناشه، وبقيت أمه (أم الكتاب) عنده للمحاسبة والحجة
به ليلاً يغير ما كُلف به، فدفَع له الخليفة مؤونة جميع العبيد تجري على يده
بالسياسة، فإن أساء يوصله لسجن سيده، ففرق الحاجب جنودا وكبير على كل جند
واحدا ممن رضىه وقبله الخليفة، فأفاض جميع ما في يده لا يدري كبار الجند،
وتبع ما رتبته الملك في سياسة الملك، فإن الخليفة له مؤونة بلا حساب، والحاجب
له مؤونة مرتبة على أيدي الخليفة مائة مثلا، وكبير الجند خمسون مثلا، وقائد
رحى العسكر خمسة، وقائد المائة ريال، والمقدم على الجند المخصوص نصف،
والنفا للعسكر ربع ريال، والنفا للمفرد لا تكليف عليه إلا الخدمة الملكية درهما
واحدا، والكتاب مثلا ريال لكل واحد، مثلا فالنفا بالعرف الملكي يجب عقلا و أدبا
أن يعتقد أنه خادم لواء الملك، لأنه في زمام الملك، وأنه لا يأكل إلا رزقه، وليشكر
الواسطة الكبير عليه ممن يأخذ مؤونته بتعظيم جنابه، وأنه أقرب منه إلى الملك،
لأن النفر مقيد في كناشه عند الملك، لأنه مُلكه وسياسته وتقديره وإرادته. فإن خرج
عن حضرة كبيره فلا يجد من يقبله في خدام الملك في زمام الملك، بأنه يأخذ على
يد فلان كبيره أيا كان، ولا يحتاج إلى من يعلمه ذلك، فالنفر يخدم حضرة الملك،
وحضرة الملك كل كبير عليه من خليفة وحاجب وقائد رحى وقائد مائة والمقدم،
بحيث لا يمكن له أن يجرد واحدا بالشكر، بل كل واحد كبير عليه ممد له، وهكذا
إلى حضرة الحاجب، وإلى حضرة الخليفة، والمرتبة العليا تمد السفلى، ولا منة
للسفلى على العليا إلا بالامتثال أدبا، فحينئذ يراعى حرمة أدبه حتى يرتاض،
فالخليفة لا يأكل إلا ما قدره له الملك، ولا يعصيه لعظم أمر الجلال المشاهد عنده،
وكذلك الحاجب لا يعصى وإن أمكنت منه المعصية للحجاب بينه وبين سُبُحات
الجلال، لكنه ممنوع بالاصطفاء وجلال الخليفة، والكبير على الجند لا تخطر
المعصية في قلبه لما دهمه من صحبة الخدمة النظامية، بل لا راحة له إلا في
تنظيم أمر الملك، ولما دهمه من جلال الحاجب، وقائد الرحي، ففني بالشجاعة
حتى لا يعرف وجه المخالفة، لأنه سيف الملك ومنظره وقويت عليه قوى الملك

لأنه يده، وقائد المائة يخالف في بعض الوقائع لملاحظة من دونه لتكون له يد عند كبيره، ففشل عن القوة بحظ نفسه بحيث أحب أن يحبه كبيره، وقلت ملاحظته للملك. وأما من فوقه فلا حظ عنده بل أغرقته سباحات من فوقه مع الوقوف على التنفيذ والتنظيم والشجاعة الحالية، والمقدم على النفر يخدم على وجه الخوف مع رعاية شهوات نفسه ممزوجة بنخوة أمر قائده، والنفر يخدم مع السجارة عن حضرة مقدمه من غير تعرض لشيء زائد عن صائر نفسه مع القيام على ساق الجد في الطاعة معرضا عما اشتغلت به ولاته، والنفر شغلته النفاة في بعض الأوقات فلينته بها، ومن تبع الجند من الضعفاء والمرضى فسهمهم الرخص لا دخل لهم في أمر التولية الملكية، وهم ونساء الخدام وأولادهم قبل التولية، وأهل الحرف المعاشية قبل التولية إن كتبت، وكل من تبع الملك لكرمه أو سطوته من غير داعية العبودية المحضة في بحبوحة الفضل، وهم مظاهر أهل دولته، وأهل دولته مقصودون للملك، فظهرت آثار مظاهره فيهم، فمثال الملك له المثل الأعلى خالق الخلائق جل وعلا، ومثل الخليفة عنه إطلاقا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. مثال الحاجب خليفته صلى الله عليه وسلم في كل عصر، رسولا، أو نبيا، أو قطبا. ومثال الكبير على كبراء الجند الأمير اليميني في الديوان. ومثال كبير على بعض الجند الأبدال. ومثال قائد الرحي أهل الأحوال من الأولياء، فهم سيوف الله، فهم أنفع الناس بهمهم، وأضرهم بها، لعدم الصبر على المقادر مضربين شجاعتهم وغيرتهم على رعية الملك، وحرمة من آداب الحضرة الألهية، فتساعدهم لقوة غيرتهم مرة وتقهرهم أخرى لسوء أديهم، وهم فانون عن أنفسهم مغلوبون بسباحات الله. ومثال قواد المائة من دونهم من الأبرار والصالحين المستجدين لله. ومثال النفر بقية المستخدمين في الولاية الظاهرة كالخطط، فهم أكثر الأولياء تبعا وبعدا وخدمة مع عدم الأدب. ومثال النفاة مثال القصاص من الوعاظ وأهل الخطب، فهم وإن تعلقت مصلحتهم بجميع الجند لكن لم تغنهم الهمة بالأعمال، ينفعون بنفس أشداقهم بلا أدب وعمل صالح بإتقان الوجهة، بل يجعلون العلم صنعة وحرفة للكسب المعاشي ويعدون ما بيد غيرهم من الحرف أعظم مما عندهم، فلو وجدوا السبيل للولاية والتجارة لتركوا الخطب، فهم خدام في سياسة الملك بلا قصدها، بل لحرفة يستغلون غلتها بالخراج المالي. ومثال الضعفاء والمرضى ونساء الخدمة ومن تبع الملك لكرمه أولخوفه بقية عوام الخلائق الذين لا دخل لهم في أمر سياسة العالم، بل هم فلاحون مثلا وتجار فهم سهم الرخص.

28 - القطب ومن دونه من الأولياء.

كبير الجند ومن فوقه طريقة محمدية لتجردهم من الغير والغيرية في كل عصر، فهم محل نظر الله في كل عصر لصفاء طويتهم من الحظوظ، وهم المرربون في كل

عصر على الحقيقة، وغيرهم من المدعين إنما يضلون عن الطريق المستقيم.
وقواد الرحي رجال الغيرة لا غير، تجلى فيهم الملك بقوة الغيرة، لا يصلحون
للمشيخة لوفور صولتهم.

وقائد المائة مرب لمن دونه تربية مقيدة بمقدم المائة، ومقدمه كذلك، فلم يطلق لهم
في التربية لقوة حجاجهم. والمقدم مثال بعض المرابين بتربية خاصة لقوم
مخصوصين.

ومثال الأولياء الذين لم يُعط لهم سراح لحضور الديوان الملكي، الذي تدون فيه
آراء خدام الدولة على اختلاف أجناسهم ومراتبهم سياسة لا غير وترتيباً لأمر
الملك، ولا ينفذ إلا ما أراده الحق جل وعلا، وإنما تجليات الأسماء تتلون في رجال
الغيب، ولا يبرز إلا ما دون في كناش الحق المكتوم بالنفار العسكري، لأنه خادم
في الانتظام، بل هم المقصودون بالتنظيم وهم كثيرون، أقلهم مائة ألف وأربعة
وعشرون ألفاً، فلم يكن بلد من بلاد الله إلا وفيه واحد تنظم عليه الأمور الحقية -
فإذا انتظم بالمثل - علمت أن رجال الغيب المعتبرين المؤيدين الصحابة في كل
عصر، وهم الذين تبعوا مقتضى إيمان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم الذين
عبدوا الله من غير ملاحظة حظ نفسي دنيوي ولا أخروي، حتى أتاهم اليقين، أمر
الله بالرجوع الكلي إليه.

29 - فناء الذات الترابية

معنى الرجوع الكلي: فناء الذات الترابية الغليظة التي شأنها الركون إلى أمر
شهواني، فإذا سحق الله مراسمها بالمراسم الملكية، صارت الروح موصولة بلا
حجاب القارورة الجثمانية، وكذلك من تبعهم من الأقطاب والأفراد والأوتاد
والصديقين والأمراء والنقباء، فهم على طريقة محمدية، ولذلك صح ظهور أوامر
الله فيهم، وغيرهم من أهل التصريف مائلون بعد القرون الثلاثة عن الطريقة
الأولى، لأنهم باعتبار مقام المحمديين كالعوام الحمقى ببشريتهم.
فإذا علمت أن الثقلين على قسمين:

قسم مستخدم في أداء السياسة الملكية وهم النفر إلى من فوقه. وقسم استخدمتهم
نفوسهم واستخدموها، تارة في مرضات مولاهم، وتارة في مرضات نفوسهم، وفي
الحقيقة لا يسارعون إلا لنفوسهم، فإن جدوا على نفوسهم حتى استعلوا على أحكام
الله، وتجبرت نفوسهم، فهم أرذال العوام الكفار، وإن لم يصلوا إلى حد الاستعلاء،
بل يخالفون لنفوسهم مع تقيد قلوبهم بدين الله على يد نبيه، وإنما يلعب بهم الهوى،
فهم عامة المؤمنين في كل عصر.

30 - الدين ثلاث مراتب لكل مرتبة شريحتهما

الخلايق قسمت إلى ثلاثة أقسام: عامة. وخاصة كقواد الرحي ومن دونهم من أهل الانتظام الملكي. وخاصة الخاصة وهم العارفون الأعلون: فمقام الخاصة مقام الإيمان المصطلح عليه عند القوم. ومقام العامة الإسلام. ومقام خاصة الخاصة مقام الإحسان.

وكل مقام له مواقف ثلاثة يقف رجال مناسبون للمواقف، فالعامة على ثلاثة، والخاصة على ثلاثة، والعارفون على ثلاثة. فكل جنس يقف لموقف يناسب همته، ولم يجز مقام الإحسان في كل زمن إلا الرجال المحمديون، فهم المحسنون وجهتهم المتقنون أفرادها لحضرة سيدهم، والخاصة يعبدون للجنة لا لله وعبادتهم صحيحة في ظاهر الشرع بحسب ذوق مقامهم، وفاسدة قطعاً بحسب ذوق المحسنين العارفين، والعامة يعبدون للدنيا وللحفظ من النار، فعبادتهم صحيحة بحسب ذوق مقامهم، وناقصة عند الخاصة لعلو ذوقهم عنهم، فالمقامات الثلاثة جميعها دين كامل، والأول فقط ناقص، والثاني مع الأول ناقص، والثالث مع الأولين كامل جداً.

31 - مصطلحات أركان الدين:

(العبادة والعبودية والمعبودية.)

الدين الكامل ما كان عليه أهل الطريقة الأولى من الصحابة والكبير ومن فوقه، وما شاكلهم في دينهم من أفراد العبادة لله بالله وعلى الله وفي الله، حتى جلس على كرسي العبودية المتولدة عن العبودية فالعبادة مقام الإسلام والعبودية مقام الإيمان. والعبودية مقام الإحسان.

وعلى نهج الطريقة الكاملة السنية رد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أمته ولبابها وخيرتا وميزها من حثالتها، ونقاها بتربته على الوجه الأكمل على يد صاحب الطريقة الأولى المشار له عند أهل الذوق السليم، في كل عصر من زمن الصحابة إلى ظهوره في حدود السبعين من القرن الثاني عشر.

32 - السر النوراني في سيدنا علي وآله إلى يوم الدين

أكثر جدّه على طريقة الأولى بهمته وعلمه، سيفه أسد الله حيدرة سيدنا ومولانا نعمة الدين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، بجوهرة أصل النبوة وتفاحة الجنة الملكية الآدمية الحورائية، وبجواهر الخلافة عن الله نور القطبانية في أولاده إلى يوم القيامة، الكلام عليه وعلى مقامه وعلى أنه حجاب بين الطوائف كلها وبين سر النبوة.

مقام الختمية الذي تشوف إليه كل عارف واختصّ به صاحب الختمية التجاني وصفه بالختمية الكنزية الكتمية، وصار هو سالا سيفه على طريقته حفظاً لحرمة

أهلها، لأنها متفرعة في كل عصر، وفتح باب المجال لكبار بحار الأولياء في كل عصر، حتى عقد كل عارف بيعته في الغيب، وسماه بعض الأكابر باسمه، ولم يميز بلده، وادعى قوم مقامه، ثم تبرؤوا بإذن إلهي إلهامي لعظم مقامه ومقام أتباعه، فلما أبرزه الله ذهب نجوم الأفلاك الولائية لستر مقامهم بظلمه، فصار لا يظهر أحد إلا فيه إلى قيام الساعة، وينفر على ما كانت عليه الطائفة الثانية من الركون إلى الكشوفات الكونية، وبين دسائسها وأنها طريقة معوجة كل الاعوجاج. الطرق الثلاثة: معوجة، وفاحشة، والمستقيمة التي هي طريق الشيخ والصحابه. فالطرق الثلاث: طريقة الجنة معوجة إلى جهة القلب، وهي منحرفة عن الحق كل الانحراف، لولا فضله جل وعلا، لأذهب رسوم وأطلال أهلها لسوء أدبها، لأنهم سافروا إلى غير الله، واستعملوا القربات التي وضعت لعبادة الله في طلب غيره، الذي هو حظهم الشهواني في الجنة ذاتا ونعيما. وطريق النار معوجة منحرفة كل الانحراف عن الحق جل وعلاه إلى جهة شمال القلب، وهي طريقة فاحشة حلوة خضرة. وطريقة مستقيمة معتدلة محجة بيضاء لا كُدية ولا وادي ولا قاطع، ولا تعب، ولا تقشف فيها. هي طريقة الحضرة القدسية الحقية، وغيرها باطلة في عرف أهلها، وهي صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، التي هي طريقة الفضل الإلهي، طريقة الحمد والشكر، وطريقة الخلوة القلبية، لا البدنية المجردة عن كل ما يشغل ويحجب عن سبحات جلال وجهه جل وعلاه، النقية بلا احتياج إلى التصفية، بل هي صافية بصفاء أهلها بالفطرة الإسلامية، بحيث لم يحدث أهلها قصدا يقطعهم عن سيدهم، بل بقوا على ما كانوا عليه في عالم الذر عالم البرزخ القاهر كل جوهر وعرض، بخرقه العوالم كلها من أرض وسماء وجنة وعرش، مبدأه من الأرض السابعة، وهي متسع جدا لسعة مجال العلم فيه، وهي مسكن الكفر والشرك، أهل الخلود في غضب الحق جل وعلاه، فكل روح تقابل مقامها الذي أريد بها، وأعلاه أضيقت الأشياء لقلته وذهاب رسوم العلم الفطري فيه، وهو مقام سيد العوالم صلى الله عليه وسلم خارقا العرش سقف الجنة، فالروح فيه مجردة من الغير، موجهة لسيادة سيدها لعظم الجلال وقهره بالمعانية، فإذا علمت أن الذي يعبد الله على الحقيقة، أهل الطريقة والمربون المشايخ الأكابر قواد الطريقة الثانية بعد تصفية بواطنهم من الحظوظ النفسانية، ظهر لك أن القرن الثاني عشر مفضل على القرون قبله، لمن حل غير القرون الثلاثة الذين سلخوا إلى الله بلا قصد شيء يوصلهم، لأنه ظهر فيه نائب النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة، إلا على ما يدل عليه صلى الله عليه وسلم من توحيد العبادة لحضرة الجلال، مضربا عن الخواص فضائل القربات، بحيث لا يلتفت إليها ولا يركن لها، ولا يترك تابعه يتشوف لها، عالما بأن الفضائل إنما ذكرت تشويقا للمريدين لحضرة

المهدي جل وعلا، لا إلى الهداية.

مقاصد الذكر الأربعة

فقسمت العبادة إلى أربع:

قاصد بذكره غرض نفسه من الدنيا والآخرة والفتح والكشوفات والأسرار والعلوم، بحيث لم يستعمله إلا له فهو شرك حرام، فهو ظالم قطعاً. قاصد بذكره وجه الله مع ملاحظة حظه بخاصية الذكر، فهو أخف من الأول وهو شرك.

وقاصد بذكره وجه الله لا غير مع ملاحظة قضاء حاجته عند اختتام الذكر، لا بقوته ولا بطبعه ولا بخاصيته، فهذا عابد لله مع نقصان مقامه بالملاحظة، وهذا المقام هو مقام ضعفاء طريقته، وهو مقام الجهل في مرتبة الإحسان. وقاصد بذكره الخاص العبادة للعبودية، قبلها من غير تعرض لرائحة غرضه عند التلبس بالقربية، وكذا بفور قربها قبلها وبعدها، بل فنيت مراسمه عند ذكر جلاله بالهيبة، وعند ذكر جماله للأنس، وعند ذكر رحمته بالفرح، وعند ذكر كرمه بالشكر، وعند ذكر قهره بالخوف، وعند ذكر قوته بالضعف، إلى ما لا نهاية لصفات الرب، فكلما ذكره بصفة لبس حلة ضده، فيذكر امتثالاً واستحقاقاً، أو شوقاً، أو غلبة، بلا تعمل فيه، بل يذكر الله بالله في الله، فانيا عن نفسه بذكر أوصاف سيده قانعا.

أهل الطريقة الأولى لا يُضاهون

السيد النافع: إن كان آلة يحركه الله لمجاري أقداره، وهو الذي خلقها وعرضها لما شاء، وحصل له العز الدائم بسيده، فعزه قديم لا يفنى، وملكه ملك سيده لا يبلى، ومدده من سيده لا ينفد، وعلمه علم ربه، وهديته هدية سيده لا تنقطع، لأن فعله فعل واحد، فكمل وارتقى لحضرة سيده، مضرباً عن عمله، مشاهداً عند مباشرة عمله، سراية فعل سيده، وأنه لا تأثير لشيء مع الله.

فأهل الطريقة الأولى كلهم، عوامهم وخواصهم منزلون منزلة المشايخ في الطريقة الثاني، لأنهم أحسنوا عبادتهم، ولا يمررون إلا به، ولا يحبون إلا المحسنين، ويكرهون أهل الدعاوي للولاية، أي من يحبون الولاية، لأنه يناقض العبودية، فالعبد عبد وإن قربه سيده، فسيدة هو الفاعل، وهو محل فعل سيده، وهو مقهور بالملك والعجز والتحجير عليه، بحيث لا يعطى ولا يمنح إلا به، فهو غاية الذل لو عرف، فعرف ذلك أهل الطريقة الأولى، وتجردوا من دعوى الولاية، وإن كانوا أولياء بالله، ولا يظهر ذلك، بل يباشرون ما كلفوا به ولم يروا لأنفسهم عملاً ولا قدراً، لأنهم علموا حق العلم بأن الولاية الحقيقية للسيد، والعبد وإن عظم أمره عند العبد، فإنما ظهرت عليه عظمة السيد، وهو مجرد منها لأن العاقل لا يعتبر إلا الأصل الذاتي، فأصل العبد ذل الملك، والتحجير والضعف والفقر، حيث لم يملك

نفسه، فضلا عن غير، وإن تذلل العبد، فذلك عزه، وإن تعزز بعين الذل الحقيقي، فالمطلوب من العبد إتقان الوجهة بظاهره، كما أتقن باطنه الذي هو أصله، فأصله بالغ نهاية العبودية، طائعا أو عاصيا، لكن العبرة بالظواهر، فإن وافقت البواطن فهو عارف، وإن خالفت فهو جاهل عبودية أصله (من عرف نفسه عرف ربه). فتجرد أهل الأولى ولا يحبون إلا الشريعة، فيترتب عليه حب ما استحسنته، وبغض ما استقدرته، (الحب في الله والبغض في الله من الإيمان). ولا يشتغلون بإزالة الحجب، بل رضوا بما هم عليه، وتجنب كل ما حدث بعدها، فهو العارف وإن كان ظاهره من جملة العوام، فمن كان بصيرا بالأمر ثم غمض عينيه فهو عارف كفتحها (لو كشف الحجاب ما ازدت يقينا).

الحث على التمسك بالطريقة الأولى - الطريقة التجانية -.

فعليك أيها الأخ بالانتظام فيها، راضيا تكن منهم، أو محبا لهم، فهم عين العارفين الذين ظهروا بالمشيخة، وإن لم يعرفوا عقبات السلوك، فإنهم أقرب ممن عرفها، ويعلمها للناس ويشنت فكره بها في أول سلوكه، ومن أحسن وأمسك عن الخوض في الإرادة التي هي عين الحجاب مضربا عنها، فقد فُتح عليه أكبر من كل فتح، وما يترتب عن إحسان الوجهة، إنما هو غلة إتقانه، ولا يعرج على الغلة، بل على الأصل، لاستلزامه الغلة، فتجدهم فانيين بالأصل، كاتمين أسرارهم، لأن من ملك الأصل يعرف الغلة ويستغلها، أحبها أو أضرب عنها، لأن الغلة ناشئة قطعا عن الأصل بالله، فمن وجد بعض الغلة عند غيره بهدية أو كراء، نقص مقامه عن ملك الأصل والغلة. فشد يديك معا عن الطريقة النبوية، التي بينها سيده بوحى إلهي، ورد خاصة أمته إليها، بعد أقول نجوم بوارق الطريقة الثانية.

صاحب الطريقة الأولى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولتعلم أن صاحب الشرع الآن صلى الله عليه وسلم، قائم بأهل الطريقة الأولى كزمانه، بل أشد منه، لأن زمانه فيه السيف، وهذا الزمان إنما فيه سيوف أنواره، ويقتص من أهل البدع، بأمسك أنوار جماله وشريعته عنهم، حتى يرجعوا إلى الله. بيان الفرق بين الطريقة الأولى والثانية.

إن الطريقة إلى قيام الساعة هي التي كان عليها أهل الهجرة والنصرة، وإنها مناقضة كل المناقضة للثانية دون العكس، ولا يستدل بأحوال أهلها حال السلوك، من اجتهاد وخلوة على الأولى، وأما شيوخها المسلكون بسياسة ترقيق الحجاب، فتقدم أنهم من الأولى، وإنما فعلوا ما فعلوا لغرض السياسة لا غير، وهم عالمون بأنها معوجة لغرض تنمية الضعفاء لا غير، وأما هم فغرقى في بحور الإحسان، ولذلك يوجهون الناس في آخر أمرهم إلى حضرة الإحسان، وعليه فما يذكر في الكتب المؤلفة في الثانية، كإحياء علوم الدين، وجواهر الخمس، وقوت القلوب، إنما نطالع كتبهم لسعة في أحوالهم، تدبرا بها لا غير. وأما أهل الأولى فلا تناسبهم إلا

عوائد وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ورثه إرثًا كاملاً بإتقان الوجهة،
فنتبع أخلاقه صلى الله عليه وسلم، يغنى عندهم عن كل حكاية من الثانية، لاختلاف
الأحكام، وعليه فقد أخذتني الغيرة حتى ارتعدت فرائصي على الطريقة الأولى
التي تخط بالثانية، بذكر هم أهلها، فهمهم قاطعة بحسب ما في كتبهم، لكن
الطلب حظ العبودية التي هي عين العز لكل عبد، فلا أحب من يطالع كتبهم ممن لا
خبرة له بما سطرناه، وإن كان محسناً، لأن المحسنين منهم من عرف وجهه،
ومنهم من أحسن من غير مبالاة بالعواقب والنتائج، وهم العامة فيه، وعامي
المحسنين أعظم من سائر أهل الثانية قبل التجريد، وأما بعده فهو من أهل الأولى،
لأن شيخه مجرد، فعلى أهل الأولى مطالعة سير نبيهم، وهو الشيخ الأكبر لأهلها،
لأنه صلى الله عليه وسلم قال لحامل ألويتها: (أنا شيخك ومربيك وكافلك، فلا منة
لمخلوق عليك. وقل لأصحابك لا يتعلقون بأهل الثانية). المسمون في عرف العامة
بالأولياء، لظهور الكشوفات على يدهم.

وأما أهل الطريقة الأولى فلا يسمون عندهم أولياء، لأنهم أبرياء من دعوى
الولاية، عالمون أن الولي هو الله، محتشمون منه، وإن صرفهم مولا هم تصرفوا
به، وكنتموا أمر الخدمة الملكية، فافهم قوله، (لا منة لمخلوق عليك) وكذا على
أصحابك متكلماً صلى الله عليه وسلم ... وعن لسانه في قوله (أنا كافلك ومربيك)
بأمر من الله جلا علاه، تظفر بكنز سر الصحبة منه ومن أتباعه.

إحياء روح غزوة بدر

أهدي جميع إخواني المسلمين من المستضعفين والمظلومين في كل البقاع أخلاقيات هذه الغزوة التي قلبت الموازين و تحدت قواعد التكافؤ بكل المقاييس، وما ذلك إلا بفضل صدق و ولاء البدريين و نصرتهم لدين الله تعالى: فالمواجهة كانت غير مستعد لها و غير متكافئة. بالمرّة.

الموضوع: إحياء روح غزوة بدر هو إحياء لفكرة "الاستنصار والاستغاثة و رفع الهمم".

- كان جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار في كتيبتين ممثلتين في كل من سيدنا علي وسيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنهم

- لم يكن لدى الجيش سوى 70 بعيرا و فرسين اثنين، كانا للزبير والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم " وكان يُتناوَب عليهما في الركوب عند التعب. "
- أما عدد الجند " فيقال بأنه كان بين: 313- 314 أو 315 و كانت بينهم امرأة " هي عفراء " التي خرجت أول المعركة صحبة ابنيها لمبارزة كل من عتبة بن ربيعة وابنه (الوليد) وأخيه " شيبه " : عائلة مؤمنة إذن مقابل عائلة كافرة : لكل منهما مبدأ تدافع عنه و شتان ما بين الحق والباطل!
أخلاقيات هذه الغزوة:

1- حسن الظن بالله

- لقول النبي صلى الله عليه وسلم في أول المعركة:

- "اللهم نصرك الذي وعدتني. اللهم أحنهم الغداة " أي اقض عليهم في هذه الظهيرة نفسها " "

- و لقول رب العزة لنبيه عليه السلام:

- "إني مدمكم بألف من الملائكة مردفين. " " أي تنزل الملائكة مجموعة إثر الأخرى لتوافق إيقاع سير المعركة "

- وقال ربنا سبحانه مخاطبا ملائكة النصر الكرام الذين خصهم بدعم المسلمين:

...- "أني معكم فثبتوا الذين آمنوا. سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب". - و قال في سورة القمر: "- سيهزم الجمع ويولون الدبر. "

- وحين استفاق النبي الكريم من غفوته التي انتابته في عريش المراقبة، قال لمن بجانبه مهللاً:

- "أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع. " " أي على ثناياه أثر غبار المعركة "

2- ثقافة الحوار و المشورة

كان "فكر الشورى واضحاً في هذه المعركة، بدليل اقتراحات بعض الصحابة الكرام من الأنكباء الذين برهنوا على مستوى عالي من الإستراتيجية العسكرية أمثال: سيدنا 'الحاباب بن المنذر' الذي قال له عليه الصلاة والسلام: " - لقد أشرت بالرأي" وذلك حين اقترح عليه خطة حط رحال الجيش على مقربة من الماء، كي يشرب المسلمون أثناء المواجهة دون الكفار. وكأمثال 'سيدنا سعد بن معاذ' الذي اقترح على النبي صلى الله عليه وسلم إقامة عريش على ربوة مرتفعة، يبقى فيه النبي الكريم أثناء النزال يراقب سير المعركة" "كانت الفكرة النيرة أيضاً حماية للنبي و استعدادا و تحسبا للطوارئ و المفاجآت".

3- مقتل كبار سادات قريش كان، أكبر هدية للمسلمين قُتل أبو جهل "وهو فرعون عصره" على يد شابين مسلمين حديثي السن، قال لهما النبي الكريم حين رأهما يتحاجان في إثبات من قتل أبا جهل، فنظر الصادق الأمين إلى الدم يقطر من سيفهما ثم قال في اعتزاز بهذه البراعم المؤمنة -'كلاكما قتله' و قُتل أيضاً من الصناديد: "عُتبة بن ربيعة" و"الوليد بن المغيرة" ... قال النبي مخاطباً جيف الكفار المطروحة في ساحة المعركة -'بئس العشيرة كنتم لنبيكم' ...

4- النصر الحقيقي يكون حليف الصادقين فقط.

- بعث الرسول بمبعوثين مبشرين للمدينة مباشرة بعد المعركة ليُشيعاً الفرحة بين جموع المنتظرين، وهما: زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة " لأن الجيش تأخر في بدر ماكتنا 3 أيام بعد الواقعة استعدادا للرجوع، وكذلك من أجل حل مشكل الغنائم الذي طُرح آنذاك"

- خرجت من المدينة المنورة وفود التهئة لتعبر عن مشاعرها للجيش، فقال أسيد بن حضير مهنئاً: -' يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك و أقر عينك' ...

5- كثرة أعداء الإسلام آنذاك ومؤامراتهم لم تزد المسلمين إلا عزمًا من ناحية، كان المشركون من قريش مكة، ومن ناحية أخرى يهود ونصارى المدينة و كذا المنافقون وبدؤ المدينة من أصحاب المأرب والسطو. فحصلت إثر بدر غزوة أخرى في نفس الشهر والسنة، انتصر فيها المسلمون على من جمعوا لهم في السر "وهي غزوة بني سليم في شوال عام: 2هـ . وهي نفس السنة التي فُرض فيه و الحمد لله: رمضان و الزكاة)

6- الله يمن على المسلمين، ليُظهر فضله تعالى عليهم وعلى الفرق المستضعفة في الأرض:

يقول عزم من قائل في "سورة الأنفال، الآية 26:"

- "و اذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره و رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون" صدق الله العظيم

خلاصة القول، أن الأمل كبير في انتصار المسلمين على الأعداء و على ما يُحَاك لهم في الخفاء، إذا ما هم جمعوا شملهم ووحّدوا كلمتهم وشدّوا ثغرات الفرقة بينهم. عندها فقط يلبي الله نداء الاستغاثة و التوكل، بعدما استخدموا كل أسباب النجاح. و صدق الصادق الأمين حين قال بعد أن كفاه الله قتال حلف الأحزاب: '- الآن نغزوهم ولا يغزوننا. نحن نسير إليهم.' " في صحيح البخاري "

أختكم في الله و المشرب زينب
أبو عقيل بنت سيدي البعقلي

مناقب الشيخ العارف بالله النظيفي الحاج محمد

عندما ينطق الحق، يتوارى الباطل بالحجب الكثيفة مدعياً أنه ما قصد، ويبدأ في انتحال الأعداء، السيدة زينب أبو عقيل الحق صرخت فدوت فانكمش الباطل، وأصبح يردد المعزوفة المملة التي أصبحت نغماتها ورنينها تمجده كل الأسماع، هاهي السيدة تقف معلنة الحق، مزهقة الباطل، فمن يستطيع التطاول على الطودين المتحابين أزلاً وبرزخاً بعد هذه الصرخة المدوية؟.

مناقب العارف بالله الشيخ النظيفي رضي الله عنه
والردُّ بالبرهان على المنكرين والغافلين:
سلام الله تعالى عليك يا 'أبا الفتح' يا سليم القلب وظيف الفكر واللسان، يا من كنت
تررد منشداً:

مالي في الكون سوى الرحمن والمصطفى وشيخنا التجاني
فمن هو هذا الهرم المعرفي الشريف؟

إنه رضي الله عنه حسب ترجمة نجله سيدي أحمد له كالتالي:
هو سيدي محمد (فتحاً) بن عبد الواحد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن سيدي
أحمد بن سيدي علي بن سيدي إبراهيم بن سيدي مسعود بن سيدي محمد بن بني
الثرى النظيفي

فهو النظيفي نسبة ومكانة قرَّتْ بنسجه عينُ خِلِّ وَاْمِقْ
لا زلتَ يا كهفَ الأنام منظفا بدرَ الدجانوراً بليل غاسق
في نشر طيب فائح قد عطرت كلَّ البطاح من شذاه الفاتق
فيه الأمانى والتهاني والمنى والأمن من غمر ولص طارق
من قصيدة: حديقة الطيب

-ولد رضي الله عنه: عام 1270 هـ بسوس (بقرية أيت كين) و توفي عام
1366 هـ

-كان ناصرياً ثم أخذ الطريقة عام: 1309 عن سيدي أحمد محمود الذي سبق وأن
زاره صدفة وقرأ عليه الجواهر التي (أمر بنسخها في نفس الليلة). ثم أخذ عن
الإفراني، فالعبدلأوي، فسيدي محمد كنون ثم سيدي عبد الله الكنسوسي انتقل إلى
مراكش ليستقر بجوار شيخه سيدي أحمد محمود، ثم أنشأ أول زاوية صغيرة
عام: 1318 هـ بدرب الحراكاصة، و بعدها زاوية أكبر حجماً 'بحومة القصور' بباب
فتوح بمراكش (عام 1338 هـ: مع حفاظها على عامل البساطة. إلا أنها رُمّت و
زُينت بعد ذلك من طرف المحسنين)

لقبه سيدي أحمد سكيرج ب: أبو الفتح، وعلى هذه التسمية نظم فيه سيدي إدريس
بن الحسن العلمي قصيدة تحت عنوان: أنوار أبي الفتح

يا أبا الفتح والمواهب و التظـ ريز نظاما ونصرة السلطان
للتوضيح:

قال الناظم: (أبا الفتح) إشارة إلى تلقيب سيدي أحمد سكيرج إياه 'أبي الفتح'!
و قال: (والمواهب) إشارة إلى كتابه 'مواهب اللطائف'!
و قال: (والتطريز نظاما) إشارة إلى كتابه: 'التطريز المليح على بردة المديح'، و
كذا 'الأطاريز الإبريزية على قصيدة الهمزية'.
و قال (نصرة السلطان) إشارة إلى كتابه: 'نصرة السلطان وإغاظة الشيطان' (مدافعا فيه عن السلطان المولى عبد العزيز ضد الاستعمار وبوحمارة مؤلفاته

- أشهرها 'الدرة الخريدة على شرح الياقوتة الفريدة': وهي تائية من 556 بيتا (من البحر الطويل في جزئين): انتهى من تأليف الكتاب عام شعبان 1319 هـ و طبع 3 مرات في حياته (بفاس ثم مصر)

'- زبدة الخريدة على الياقوتة الفريدة' (وهو شرح صغير)
- زبدة الإعراب في نظم قواعد الأعراب (على غرار الألفية)
'- الطيب الفائح في الورد السائح في صلاة الفاتح' (طبع عام 1323 هـ ثم 1332 هـ)

'- مواهب اللطيف': وهي مجموعة قصائد صغيرة في ذكر مناقبه رضي الله عنه وسنده في الطريقة وإجازاته من أكابر الشيوخ ، بالإضافة إلى توضيح شروط المرید والمقدم على السواء (طبع وجمع مع : زبدة الخريدة)
'- مبادئ الإشراف والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار والأوراد' (و به الأجوبة النظيفية على الأسئلة المرضية و المواهب اللطيفية في الحياة النظيفية).
'- نصره السلطان و إغاظة الشيطان' (به أرجوزتان في نصره المولى عبد العزيز ضد الاستعمار و أذنيه) التخميسات:

'- تخميس الوتریات' (لقصيدة الوتریات لسيدي محمد بن راشد البغدادي)
'- نفحات على الوتریات' (شرح لألفاظ تخميس الوتریات)
'- تخميس البردة' (للإمام البوصيري الذي طبع مع تخميس الوتریات)
'- تطريز المليح على بردة المديح' (شرح لألفاظ تخميس البردة)
'- تخميس قصيدة أم هاني ' العارفة بالله
- شرح لألفاظ التخميس لقصيدة أم هاني (مع شرح التخميسات الأخرى)
رأي بعض أصحابه فيه:

الإمام محمد النظيفي وافق تجارته بربح راجح صلى بأبدع صيغ على الهادي حلى بجوهرها صلاة الفاتح - رأي سيدي أحمد سكيرج فيه، رضي الله عنهما:

يقول في كتابه: 'جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني:'
- [إنه السيد النظيفي نشر أعلاه تأليفه في الطريقة بما شهد له في كثرتها وإفادتها
للعوم والخصوص، و أذعنت له في إجمالها و تفصيلها الرؤوس، سيما فيما
أطال به من النقول و النصوص...] انتهى
? رأي سيدي البعقلي فيه، رضي الله عنهما:
جاء على لسانه رضي الله عنه، في كتاب 'الأجوبة البعقلية في التربية بالطريقة
التجانية' لتلميذه سيدي أمين محمد الفطواكي، التصريح التالي
- [صاحب الطيب الفائح، من أكابر العارفين المهيمين بربهم، فمن تعرض له
بكلام يُبتلى بانطماس البصيرة. ومن العجب أن الناس لا يعدون الرزية إلا في
الأموال والأبدان، فالرزية كلها في قسوة القلب. فكيف يستحسن عاقل، فضلاً عن
عالم أن يستنقص مثل الفرد النبيل العارف الكبير، العالم العلامة الناسك المواظب
على وظائف العبودية، المتجرد قلبه مما سوى الله، الناصر لدين الله بالنفود،
والتأليف العديدة المفيدة، المشارك في كل فن من فنون العلم، النفاذ البصيرة،
الفظن الذكي، الأروع الأحمل، الشريف، الفقيه العامل بعلمه، التارك ما عليه الناس
من شؤون الدنيا وأهلها، العديم النظير في زمانه فمثله أعانكم الله ممن يُقتدى به
ويهدى، فمن جهل فعلا شيئاً عاداه. فاللهم عرفنا بمرتبته عندك فإنك وهاب: بل
هو رئيس أهل السنة، مالكي المذهب، أشعري الاعتقاد، وإنما قصده إصلاح الأمة،
فما زيد على آلاف مؤلفة سعدت على يديه، وغيره لم ينفع نفسه النفع المقرب له
من ربه فضلاً عن غيره.] الصفحة: 60
و يقول الفقيه الفطواكي في نفس الكتاب: '- من ذلك أيضاً، أن الشيخ البعقلي أمر
بإحضار بغلته في إحدى المرات، فسُرجت وركبها ليأخذ الحافلة بالطريق
الرئيسية، وكانت بعيدة وهذا بالشاوية فصحب معه تلميذه سيدي محمد أكمار
ليرجع بالدابة. وفي الطريق أخبره أن الشيخ سيدي أحمد التجاني أمره بالذهاب إلى
فاس وقال له: "- أدرك الشيخ النظيفي فقد اجتمعوا على قتله وأفتوا بذلك! وذلك
لما قاله في كتابه الطيب الفائح عن صلاة الفائح (على أنها من كلام الله القديم).
ولما وصل) سيدي البعقلي (إلى الزاوية الكبرى بفاس، جمع علماء الطريقة
التجانية و كان منهم من وقع على الفتوى، فبيّن لهم الصواب والمعنى الصحيح من
كلام العارف بالله الشيخ النظيفي رضي الله عنه، حتى أقنعهم فتراجعوا، وزرع
بذلك في قلوبهم روح اليقين ورفع معنوياتهم المنهارة وأحيا حماسهم أمام تعصب
علماء القرويين وما أثاروه من فتنة بفاس. وما لبث أن جاء جواب السلطان"
المولى يوسف" يأمر علماء المجلس برفض قرارهم وإلغائه والتوقف عن متابعتهم
للفقيه سيدي النظيفي والامتناع عن مسه بأي أذى. وفي هذه الأزمة التي فتن بها
أهل الطريقة التجانية ألف سيدي البعقلي تأليفه القيم النفيس: "النفحة الربانية"

ورسالة أخرى ينتصر فيها لأخيه في معرفة الله وفي الطريقة سيدي الحاج محمد النظيفي. كما قام علماء الطريقة وأدباؤها قومةً واحدة وناقحوا عنه نثراً وشعراً في انتفاضة واحدة أظهرت غيرتهم على الطريقة وصاحبها...]

-فبالإضافة إلى هذه المحنة التي نجا منها فضلاً من الله و (بهمة تجانية ومساندة بعقلية) كان قد تعرض لمؤاخذات لم يفهم منها قصده النبيل، كإضافة كلمة (سيدنا) لاسم محمد في نهاية الوظيفة، تعظيماً لسيد الخلق لا خروجاً عن المؤلف ولا مخالفةً للثوابت، وكانت له حجته في ذلك، بحيث أقر رضي الله عنه على أنه حاكي في التعظيم فحول الطريقة أمثال: صاحب ميزاب الرحمة وصاحب الرماح وصاحب البغية وغيرهم.

-و أما تمسكه بعدد 300 من الكلمة الشريفة (لا إله إلا الله) عوض العدد المنصوص عليه في الجواهر في هيلة الجمعة فحدث ولا حرج : كثر لغط المعارضين ممن لا خبرة لهم في أحوال الكمل الذين ينظرون بنور الله ومعهم اليقين والعزم والحزم: فحسب العارفين فإنهم يروا أنه ما فعل ذلك إلا لأنه مأذون له فيه (و هو كذلك كما صرح به لبعض خواصه)، و إلا فلا يعقل أن نشك في من حياته وقف على الله، و أنفاسه محبسة على خدمة الحق!!!

-رأيي الخاص من باب النزاهة والإنصاف ورفع الحرج عن الأتباع: في نظري وحسب ما استنتجته من كلامه رضي الله عنه: فإن له إذناً في ذلك وإلا فما يتجرؤ أمثاله على الله تعالى و لا على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم) و لا على شيخه و سنده

فلقد اكتفى بعدد 300 من كلمة التوحيد في هيلة الجمعة، من باب التخفيف عن أتباعه نظراً للظروف السياسية و الأمنية آنذاك، كي لا يُحرم الفقراء من الذكر جماعة في ظروف آمنة، لأن أبواب المدينة كانت تغلق إما بالأقفال أو بدوريات الحراسة.

فحتى غيره من الشيوخ الواصلين من أعلام التجانية فقد سبق وأن تأقلموا مع ظروفهم المحلية في مدنهم و مداشرهم، لرفع الحرج و العناء عن المريدين: فاجتهدوا في الفروع دون الثوابت.

ولذلك يقول سيدي النظيفي شخصياً في كتاب، 'مبادئ الإشراف والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار و الأوراد' دون الإشارة فيه تصريحاً إلى عدد 300 الذي يتبناه، و الذي لا يلزم به غيره إلا من ارتضى لنفسه من أتباعه التسليم و التفويض العارف بالله) ينظر بنور الله وله سبق في الفتح و الكشف و التجليات و المدد) يقول فيه رضي الله عنه:

- {فالكلمة الشريفة لا إله إلا الله أو الذكر الفرد : الله الله الله، فتذكر بلا حد: فمنهم من يذكرها 1600 مرة، و منهم من يذكرها 1500، و منهم من يذكرها

1000، و منهم من يذكرها 1200: و كل ذلك واسع إن شاء الله بحسب الوقت و الأماكن...} انتهى

و ها أنا ذا أنوب عن محبيه في كل زمان ومكان، لأقدم لك أخي المتلقي أبياتا شعرية غاية في الغيرة الحميدة، من قصيدة وجدانية في مدح مناقبه رضي الله عنه، للفقيه المحب سيدي إدريس بن الحسن العلمي، وهي تحت عنوان: 'أنوار أبي الفتح'

أقدمها لمن أراد أن يعرف قدر هذا العلامة الجليل الذي دارت عليه وعلى أتباعه حبال المحن والاعتراض، من كل جانب من طرف بعض علماء الظاهر، ممن حُرّموا الفهم والحكمة:

-وأخيرا أوجه ندائي الجريح إلى كل مسلم قد سبق وأن أخطأ في حق الصالحين من العلماء: إنهم أولياؤه ورثت أنبيائه وأقلام الحق وصدقات محيطات أسرارهم، وبالتالي فهم كالصحابا الذين قال فيهم إمام المادحين البوصيري رضي الله عنه:

اتقوا الله مثل تقوى النظيفي يظهر الله ما اختفى من معان
ثم عن حكمة النظيفي يلهمكم ويطلق لسانكم بالبيان
أيها الجاحدون قدر النظيفي هل يضير السها نهيق الأتبان
هو غرس بن سائح قد نماه وسقاه من بحر شيخه التجاني
لهما ورد واحد وانسجام ووائم على التقى بتفان
لسلوك الطريق نصحا ورشدا بغية وخريفة سيان
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم أكفاء
- و أهدر الناس من شر المنكرين والمتطاولين، و أقول بقول الناظم اللبيب الذي تكلم بلسان حاله رضي الله عنه:

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفية فظن أنني عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت بثوب حلم وجنبت السفاهة ما حييت
-كما أنه بجهد كل التقنيين والمسؤولين والمشرفين على الزوايا النظيفية التجانية في كل مكان، وأخص بالذكر في هذا المقام (زاوية بريمة) بجنودها ومجهوداتها الجبارة في نشر الطريقة والتعريف بأعلامها، بالإضافة إلى التوفيق بين الآراء لسد رقعة الاختلاف.

-و أنه بزوايا قلعة السراغنة وبحكيمها الولي الصالح والحضن الدافئ سيدي عبد الحكيم، وقرائها من خيرة الشباب، الصحبة السرغينية الذين كانوا لي عوناً وسنداً على صفحات الأثير من أجل الدعوة إلى الله والمشرّب، رغم أعمالهم ومشاعلهم:

مختلف الأعمال الت أنزلتها
المفكرة العربية على موقع الطريقة التجانية
www.tidjania.fr

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
لا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجزم

مع تحيات و تقدير بئكم الروحية
يا سيدي محمد النظيفي : الأستاذة زينب

ضرورة تجديد المواطنة وتنقيتها من الشوائب

ضرورة تجديد نية المواطنة وتنقيتها من الشوائب، لأن الوطن معقل الوحدة الروحية والترايبية معاً.

إن الرهان اليوم هو على روح المواطنة الصادقة، لحماية البلد من الدسائس والمكايد ومن أبواق التحريض وأصحاب الأجنداث المغرضة:

– وكما جاء في كتاب الجواب المسكت للشيخ ' سيدي محمد أكنسوس: ' لا تطمعوا أن تُهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم و تودوناً – وجاء في السنة الشريفة:

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا

– وقال الشيخ البعقلي لبعض من أراد إشعال نار الفتنة في الصفوف الموحدة بحجة الدفاع عن الدين، وكان، مع كامل الأسف الفقيه الحجوي، الذي عاتبه على تطاوله على بعض صالحى المغرب قائلاً له: " (كيف يحصل منك ذلك) وأنت وزير المعارف المغربية، والمغرب فيه آل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم- وامتلاً بالأشراف، من الأدارسة والعلويين والملوك الأَطهار والأشراف. أفيحسنُ منك أيها الرئيسُ أن تعاديَ أولياءَ الله... فالمغرب نُسب للأشراف العلويين، ومن نُسب لديار الأشراف شرفٌ وعُظْمٌ... فيحرم التجاسرُ على أسرار الملوك وفضحُ مراداتهم. فنحن فقراء مستسلمون للأمرء فهم ظلُّ الله في أرضه فلقد قال بعض الناس: متى أكون شاكراً؟ فقيل له: إذا لم ترَ أحداً أحسنَ اللهُ إليه مثلك. (ثم أضاف رضي الله عنه ناصحاً إياه): خُلقت الأنبياءُ لتهتديَ بهم وخلقْتَ العلماءَ لتقتديَ بهم وخلقْتَ الملوك لتأمنَ لهم... ' (من كتابه: تريباق لمن فسد قلبه ومزاجه).

أخي المواطن الشريف، فلمواجهة معاول الهدم والتخريب التي طالت ثوابتنا وحرماننا، لا بد من تجاهل من يختلقون الذرائع لضرب الأمن والاستقرار، وذلك بالإصغاء لصوت الحكمة، وإعطاء الفرصة الكافية لمسار التغيير، لأن برنامج الإصلاح يتطلب وقتاً وتدبراً، إذ يمثل عهداً جديداً مع الانفتاح، و أطروحة جديدة للعدالة الاجتماعية والحوار والشراكة.

فعار علينا ونحن أمة الإصلاح و البر والتكافل أن تنطبق علينا هذه الأبيات الناعية:

عَبَرْتُ الدهرَ ملتَمِساً بجهدِي أختَ ثقة فألْهاني التِماسِي

تَنكَّرتِ البلادُ و مَنْ عليها كَأَنَّ أناسها ليسوا بأناس

اللهم اكفنا شرَّ أنفسنا و شرَّ مَنْ يترَبَّصُ بوحَدتنا و بهويتنا، واحفظِ اللهم بلدنا وبلادَ

مختلف الأعمال التي أنزلتها
المفكرة العربية على موقع الطريقة التجانية
www.tidjania.fr

المسلمين من الفتن المفتعلة ومن العيون المتربصة والألسنة المتسلطة والأيدي
الغاصبة.

الغيورة على الهوية:
الأستاذة زينب أبو عقيل، نجلة الشيخ البعقلي

الفكر الصوفي يدعو للسلام

لا من يساير الأحداث مسايرة نجلة العلامة الباعقلي للواقع ومعايشتها وتفاعلها مع المستجدات فتابعها في مقالاتها تتبناك عن فهم حقيقي للواقع الذي يصرار على التطلعات الهادفة لصناعة واقع تطغى عليه الأنانيات وأمراض الإصلاح المجتر لفشل وقصور غير عادي منعش بدماء غريبة تفاقم سرطان الأنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله

الفكر الصوفي يدعو للسلام

من تخرج من مدرسة الدلالة على الله، على أيدي المربين الكمل تعلم لا محالة فن التصالح مع النفس، لحمايتها من الدمار الوجداني وحماية المجتمع كذلك من ثقافة التدمير والتخريب والترويع.

فمن الواضح والبدیهي أن الفكر الصوفي بصفته المعبر عن الهوية الإسلامية المتكاملة المشبعة بالرضا والسكينة، يدعو للسلام النفسي وإشاعة السلم في المحيط الاجتماعي : وهذه الكرامة الربانية لا تخلو من بركة الذكاء العاطفي الذي يستقطب به ومن خلاله المربي القلوب ويعالجها من علها ومن أنانيتها وتسلطها و من ضياعها وانفلاتها.

-كيف لا والتصوف السني يستوحي اسمه من صفاء السريرة وحتى اسم الدين

نفسه فيحمل كل معاني السلم و يفصح عن منهجه الإيجابي (إسلام)؟

-وكيف لا و ثاني مراتب الدين يحمل معنى الأمن والأمان (إيمان)؟

-بل و كيف لا و تحية المؤمنين في الدنيا وفي الجنة السلام، وتحية الملائكة

السلام.

و الخروج من الصلاة لا يكون إلا بالتسليم.

والدعاء لسيدنا - محمد صلوات الله عليه وسلامه - لا يكون إلا بالدعاء له

بالسلم...؟

فلم الاستغراب إذن وأهم صفات الخالق - عز وجل- السلام التي يذكرها المصلي

الواعي في الدعاء دبر كل صلاة مكتوبة؟

بل لم الاستغراب أيضا وصفته تعالى المقرونة بالسلام هي المؤمن التي يغمر بها

عباده الذين لم يأمنوا مكره في الدنيا والتي أفصح عنها لأنبيائه ورسله بسرد أسماء

بعضهم في مكنون كتابه المقدس ؟

فما أحوجنا للتمعن في ديننا وفهم تعاليمه ومقاصد شريعته. وحاجتنا أكبر وأكثر

لواصل يدلنا على الله ويربطنا به تعالى، و يعلمنا الانتصار على النفس وتطويعها
لتنقاد لبارئها عن علم وأدب، وبشفافية و وجدانيات عالية علو همة الشيخ المربي،
ممن ألبسهم الله رداء خشيته وتوجههم بأكليل هيئته، فأزالت أنوار قدسيته أغيارهم،
فكانوا ممن قال فيهم من عاين أحوالهم وتنشف بنسيم إرداتهم:
- "من أذن له في التعبير حسنت في مسامع الخلق عبارته وجلبت إليهم إشارته".
اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين في أي مكان من نيران الفتنة وجمار الحقد
وحجاب الغفلة عن الله جل في علاه.
و أعد اللهم الشاردين والمغرر بهم من غيبة الفكر وموت الضمير
واجعل صلاح أولياء أمورنا في خدمة الصالح العام، ونجهم وإيانا من دعاة الفساد
والإفساد.
و ليكن دعاؤنا إخواني الغيورين على الدين، في هذه الفترة العصبية من حياة الأمة
الإسلامية كالتالي:
- "اللهم نسألك السلم في البلد والسلامة في الجسد والصلاح للولد
ونعوذ بك من شر حاسد إذا حسد"

أختكم في الله والمشرب
نجلة الشيخ البعيلي: زينب أبو عقيل

المهارات الوجدانية

نحن الآن في أمس الحاجة إلى عيادة اجتماعية أثيرية لكسب المهارات الوجدانية عن طريق وصفات عقائدية وجُرعات إيمانية، من أجل تغيير السلوك الشاذ والمتطرف للفرد المكبوت الذي ينفجر في نفسه قبل غيره.

بسم اله الرحمن الرحيم

وصلى اله وسلم على سيدنا محمد الفح الخاتم وعلى اله
المهارات الوجدانية

نحن الآن في أمس الحاجة إلى عيادة اجتماعية أثيرية لكسب المهارات الوجدانية عن طريق وصفات عقائدية وجُرعات إيمانية، من أجل تغيير السلوك الشاذ والمتطرف للفرد المكبوت الذي ينفجر في نفسه قبل غيره.
من المعلوم أخي القارئ أن هناك عوامل أخرى تؤثر تأثيرا بالغا في سلوكنا غير العوامل الوراثية والسمات الجينية، كالعواطف التي تحكمنا وتتحكم فينا على مدار الساعة.

فأي سلوك شاذ يُدين صاحبه، يُعد من قبيل الجنون المسكوت عنه أو المرض المغفول عنه أو الجريمة المعلقة. وقد يُفرز هذا التصرف المُشين حُرمة من المشاعر المكبوتة إما في جنبات بئر الحرمان العميقة أو داخل دهايز الدونية المظلمة أو في المتاهات الشائكة بسبب جنون العظمة وتضخم الأنا.
- فعدم التوازن النفسي والضغوطات الاجتماعية كال فقر و المرض والبطالة والعجز، كلها عوامل قد تُفرز لدى الفرد البعيد عن الدين ثقافة السلبية، وقد تُنمي لديه فكرة الضياع، إما بين أحضان الهلوسة والمخدرات، هروبا من مرارة الواقع أو بالانتحار تخلصا من مشاكله المستعصية. بينما قد تُسفر لدى الشريحة المنفلتة والهشة عن تخزين لطاقة الحقد والحسد، لتفجيرها في ذروة الغضب بعد ذلك في جموع الآمنين من المنعم عليهم بالسكينة أو بالصحة أو بالجاه والمال، وما ذلك إلا لفقدان الثقة بالنفس وبالآخر وبالأقدار، مما يؤدي ببعضهم إلى تبني فكرة إقصاء الآخر، إما بإلغاء طموحاته وتطلعاته أو شل قدراته ومهاراته أو تعطيل مشاريعه التنموية، لحد فرض الوصاية على المجتمع ككل بالتفكير في إذابة الخلق تحت أية ذريعة واهية، أساسها فكرة سلبية مستوردة. مشحونة بالكرهية وبالعداء للدين السمح الذي تحدُّ أوامرُه من الجشع ومن المغامرات الغير المحسوبة.
إذن فكما يحارب علم الأحياء في مجال الهندسة الوراثية المتميزة الاضطرابات النفسية بوصف الأطباء المختصين العقار الناجع لتعويض الخلايا المدمرة، حفاظا

على الصحة و مكافحة للقلق والتوتر و حالات الاكتئاب المتصاعدة، فمن الضروري محاربة الاضطرابات الروحية والانحرافات الوجدانية، بتزويد الجرعة اليقينية ورفع المناعة الإيمانية، و ترميم النفسية المدمرة للمسلم. وكما يسعى هؤلاء أيضا إلى إعادة الدماغ إلى توازنه بتغيير في التوصيلات الناقلة للدماغ، فمن الأولى والأحرى بنا إعادة القلب إلى توازنه على أيدي أطباء القلوب، بتغيير في التوصيلات الناقلة الإيمانية لهذا القلب الذي أُجبر على الابتعاد عن خالقه سبحانه وتعالى و زُحزح عن عقيدته بسلاسل الغزو الفكري والحضاري فأصيبت شرايين عاطفته المتدفقة بتكسب القسوة و القمع، مما أثمر على أغصان التسامح ثقافة العنف بأنواعه وأراق على ضفاف التطرف الدماء البريئة، فزاد بذلك حصيلة المعاناة الإنسانية من يتامى وأرامل و تكالى ومعاقين ومشردين. و رفع مما لاشك فيه فاتورة الخسائر المادية والمعنوية لمجتمع إسلامي أريد به الشر منذ أن ظهرت فيه أولى براعم الصحوة القومية والانتفاضة الدينية، ويوم أن انفتح على العالم دون حجاب الكذب والتمويه، بفضل تقنيات اخترعها الخصم نفسه فكانت وبالأعلى عليه و على إشاعاته المغرضة ومكايده الموقوضة للجهود الدولية الخجولة وللمبادرات العربية المتعثرة.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أدعو بدعاء خبراء القلوب من الواصلين إلى ربهم بوصول غيرهم به جل وعلا، القائلين بالسنة الصدق و بعبارات الصفاء:

- اللهم ارزقنا كمال حسن الظن بك وبخلقك، وبارك لنا في ما منحتنا من رزقك، و ادخلنا دائرة الأمن والإيمان و متعنا بصالحى الزمان، و احفظنا من الاعتراض والحرمان، يا حنان يا منان.

- و يا من أمره لا يعصى ونعمه لا تُحصى، نجنا مما نخاف ونخشى، بجاه من أنطق في يده الحصى، سيد من فوق وتحت الثرى، الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم. وصل اللهم عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أختكم في الله وفي المشرب
نجلة الشيخ البعقلي: زينب أبو عقيل

دعوة إلى طريق الربانيين

تسافر بنا السيدة زينب أبو عقيل نجلة الشيخ البعقيل في فضاء الرحابة والوسع
متخطية بذلك حواجز الضيق وسراذيب الظلمانية في تحقيقات ربانية طيبتها الأنس
بالله وأريجها الحب في الله

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله
المنهج الرباني في الإرشاد
الفكر الإسلامي يدعو برحابة صدر إلى العودة إلى الله - عز و جل - على طريقة
الربانيين وعن طريق السعادة والسكينة والرجاء ، لا عن طريق الترهيب
والتخويف والتهويل، كما هو الشأن عند بعض المتطرفين أو المتاجرين بالدين،
باسم الدين في جُلِّ النَّحْلِ
أخي القارئ النبوي، ها نحن نسافر مُجَدِّداً على متن الأثير لنسبح في فضاء العقيدة
السليمة بانتقاء المعلومة الصحيحة و دحض الأباطيل وكشف الاحتيال على الدين،
إنقاذاً للشبيبة التائهة في دروب الرغبة والحيرة
فكما لا يخفى على أحد، فإن العلماء الصالحين من هذه الأمة هم مُصْلِحُوها حقا
وصمّامو أمانها من الضياع الروحي والجفاف الوجداني الذي أصبح سمة العصر.
إلا أن الشيوخ الواصلين منهم، ممن أطفأت أنوار إيمانهم وهج المباهج وبريق
الأغراض و سترت بشريتهم سرّاً خصوصيتهم، قد نهجوا جهاراً سبيل التعليم
والتربية والتهذيب ولم يقفوا عند حدود المطالعة الحرة والبحث والتنقيب فقط، بل
تعدوا ذلك إلى الدلالة على الله عن طريق معرفته والتعريف به - جل وعلا- من
أجل الوصول بالمسلم المرید (الذي سبق وأن التزم بمنهجهم الجامع بين ظاهر
الشريعة وباطنها) إلى مقام الإحسان و بساط الأدب والمراقبة، في جو من الود و
الألفة و الترابط، تحفيزاً على المثابرة على أنواع الطاعات والمكرومات. فتراهم
يمحون الأمية الدينية و يرفعون الهمم المحبّطة ويقدمون للمجتمع النماذج الصالحة
في حُلِّ التُّقى المؤسّاة بديباج الطهر والصفاء والارتقاء بالنفس من الثقة بها إلى
الثقة بالله - جل وعلا- ويدعون إلى التلاحم والتراحم والتفؤل: فهم صنّاع السعادة
و تجار المحبة في أسواق السلام الروحي و خمائل الغنى النفسي و عرصات
الزهد القلبي.

ومن المؤسف له أن توجد بين أحضان هذا الدين السمج المتكامل ذي الصبغة
التفؤلية والقاعدة الإيجابية أطيفاً مذهبية شاذة وغريبة قد تفننت في نسج خيوط

التعصب، فتبنت بذلك ثقافة الترهيب والترهيب والتكفير، وأخرى مغالية قد عرّضت غيرها للاتهام والمساءلة: فلا أولئك بالوعاظ والحكماء، ولا هؤلاء بالزهاد الذين وقفوا مع مبادئهم و تجردهم ونقاء سريرتهم، ولكنهم شريحة غريبة على المنهج السليم.

كل هذا معلوم بالضرورة لدى كل منصف، ولكن الذي جرتني إلى طرح هذا الموضوع وبسطه على طاولة النقاش، هو ما صادفته في مسيرتي البحثية عن الحقيقة والمصادقية:

لقد أفرعتني ظاهرة التسويق للمسيحية بطريقة مخالفة لعقيدة المسحيين أنفسهم، كظاهرة وجود بيوت الجحيم أو ما يُطلق عليها بـ A hell house: التي انتشرت في الولايات المتحدة (بولاية تكساس وخاصة بدالاس) حيث مقر الكنيسة الكاثوليكية صاحبة فكرة استقطاب الشباب كهدف رئيسي لحملة المزعومة ضد الانفلات والانحراف والعودة إلى الاستقامة، بعقد ملتقى سنوي للتطهير من الخطايا، كالانتحار والاعتصاب والإجهاض والإدمان (على الكحول والمخدرات والإباحة والشذوذ الجنسي) ...

فالفكرة تبدو في أول وهلة جميلة ورائعة إلا أنها متطرفة و غريبة لما تحمله التجربة من قساوة وفضاعة و رعب يشل الحركة، بل و تُشم في ثناياها نثانة الكسب الرخيص والمتاجرة بالدين وبسذاجة المراهقين: فكل مشارك في تجربة التوبة من الذنوب المزعومة هذه، لا بد له من أن يحصل على تذكرة بقيمة 10 دولارات مقابل مدة 45 دقيقة من السياحة المُقرّزة داخل بيت الرعب، حيث شباب آخر متطوع لخدمة الدعوة المزعومة يشخصون الأشباح ومصاصي الدماء والعرافيت والشياطين التي تدهم المشاركين وتخيفهم ليُقلعوا عن خطاياهم حتى يفتحوا صفحة جديدة مع خالقهم، في موكب من الذعر والمفاجآت والأصوات المنكرة والحركات المُربية والروائح النتنة.

ومن الاحتيال و تصيد الفرص إقامة هذا الجمع السنوي موافقا لمناسبة لهلويين الدينية المتعارف عليها بـ (la Période de Hellowen) كنوع من ابتزاز العواطف واحتكار الوجدان، من أجل استقطاب الشبيبة المنفلتة و إنجاز دعوة التبشير والتنصير.

ومن الدهاء أيضا والابتزاز العاطفي، أن جعلوا لذلك فضاءاتٍ أخرى أكثرَ أخطبوطية و مواقع إلكترونية مذهبية كـ (L'assemblée de Dieu de Trinity) الجمعية الربانية للثالوث' المشجعة على خوض مثل تلك التجربة المرعبة التي تبني علاقة الشاب بربه على المحبة المفتعلة المليئة بالمخاوف التي تفرز توبة مُرّة لا تكاد تُستساغ: فإن هو أفصح عن توبته، خرج من باب خاص يجد على عتبه كهنوتيا يُعمده بماء التطهير من الذنوب، فيصبح بذلك ممن رجعوا

عن المعصية خوفا من العذاب لا خشية من الله وحبا فيه تعالى.
فأين هذه التجربة المشبوهة من العبادة الحقيقية والدعوة النظيفة التي تُعلم الفرد فنَّ
التدين وتُذيقه حلاوة الطاعة وحلاوة الصبر عليها وعلى البلاء . ففمة الامتثال تركُّ
ما نريد لما يريده سبحانه وتعالى:
إِذْ وُرُوِدُ الْإِمْدَادِ يَكُونُ حَسَبَ الْإِسْتِعْدَادِ
فهذا ما تعلمناه، والحمد لله، في مدرسة التربية و التهذيب

.السيدة زينب أبو عقيل :نجلة الشيخ البعيلي

وقفة تأملية في آيات الله الكونية

تحمل الأستاذة هم الأمة أمة الدعوة وأمة الإستجابة وتخط بقلمها السيال ما تحمله من اهتمام في عجالة مع تركيز مراعية بذلك تطلعات الأمة لغد مشرق.

أما أن لنا أن نقف وقفة رشيدة للاعتبار، أمام آيات الله الكونية التي أصبحت تتوالى على العالم المعاصر تثرى، لما فرطنا في جنب الله جل وعلا؟
إننا الآن ويا للأسف، أمام دمار غير مسبوق وثورات من كل نوع، فكرية، مذهبية، طائفية وشعبية من جهة، وثورات كونية عارمة من جهة أخرى، قد تنم عن غضب الطبيعة، كما يراها بعض المحللين من الخبراء و لكننا كموحدين حقيقيين فلا نراها إلا غضبا صريحا من الخالق الجبار، في شكل تحذير للبشر من مغبة الوقوع في شراك الغرور والاعتزاز بقوة كل من المال والعتاد والعلم، وفي شكل إنذار بالعذاب العاجل قبل الآجل، بسبب ابتعاد العباد عن منهج رب العباد العليم الحكيم، الخبير بما ينفعهم وما يضرهم، وبما يصلح أحوالهم وينظم حياتهم، فرادى وجماعات، في السلم والحرب كما في الشدة والرخاء.

إن ما حصل حاليا لليابان المنكوبة وهي زعيمة التقدم والتقنية، من وابل من الكوارث الطبيعية ومن الإشعاعات النووية ومن انهيار اقتصادي، وما يقع لكوئنا مؤخرا، من دمار مناخي وبيولوجي وبيولوجي، ومن فساد طالت مخالفته البر والبحر والجو، ومن فتن لا عهد للإنسانية بها، إنما هو بما كسبت أيدي الناس، و بما فرطوا في جنب الله تعالى، متناسيين أن الكون كله في قبضة خالقه القهار، الذي لا يعلم جنوده إلا هو جل وعلا:

فلا مفر من الله إذن إلا إليه، ولا سلام حقيقي إلا بالاستسلام للمنهج الرباني، ولا أمان إلا بالإيمان الصادق والعقيدة السليمة، ولا سكينه ولا استقرار إلا بالرضا والصبر الجميل والحكمة البالغة، بمعرفة حدود العقل وطلاقة القدرة الإلهية.

وصدق الله العظيم حين حذر أقواما بائدة مماثلة، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، قائلا:

{- فلما رأوه عارضا مُستقيلاً أوديتهم قالوا هذا عارضٌ مُمطرنا. بل هو ما

استعجلتم به. ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها} الآية.

لا يسعنا في نهاية هذا العرض الموجز لما يتهاطل علينا من البلاء إلا الدعاء للإنسانية جمعاء. وحمى الله كوئنا من سفاهة بعض سكانه ومن كل الأخطار المحيطة به. وحفظ شعوبنا الإسلامية و حكمها بفضل العناية الربانية من الفتنة وتكالب الخصوم على خيراتها وأوطانها:

مختلف الأعمال الت أنزلتها
المفكرة العربية على موقع الطريقة التجانية
www.tidjania.fr

(اللهم نسألك السلم في البلد و السلامة في الجسد و الصلاح للولد و نعوذ بك من شر
حاسد إذا حسد)

السيدة زينب أبو عقيل
نجلة الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه

نداء لاستثمار مناسبة المولد الشريف

تدعو السيدة زينب أبو عقيل ذوي الألباب من عقلاء هذه الأمة، وحملة مشعل الدعوة إلى الله بإحسان، إلى جمع الشمل ونبذ فتاوى التفرقة، والاتجاه الإتجاه الواحد السوي نحو جمع الشمل، وتوحيد الصفوف لتجاوز الأزمة التي تحاك ضد وحدة الأمة، باستغلال مناسبة موسم التذكير بما يلزمنا من التفاني في محبة خير العالمين وموحد صفوف البشرية جمعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله

نداء لاستثمار مناسبة "المولد النبوي" للدعاء برفع الكرب والغمة عن الأمة الإسلامية.

المرجو من جميع المسلمين الغيورين على الدين، في هذا الظرف العصيب من حياة الأمة الإسلامية، ترك خلافاتهم الفقهية والفكرية جانبا، للوقوف وقفة رجل واحد، ضد الأيدي الغاصبة والألسنة الجارحة والأفكار الدخيلة المخربة، الساعية لإشعال الفتنة، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، بهدف تمزيق نسيج الوحدة الدينية من جهة والوطنية من جهة أخرى.

فالعالم الإسلامي أصبح كما لا يخفى على أحد، مسرحا للأزمات الدينية والسياسية و للأحداث الدامية، و مخدعا للاضطرابات المقلقة ومرتعا للفتن الممزقة للأوصال.

والأدهى أن كل هذه السلبية والعشوائية والرجعية وكل هذا التدهور، يُنسب بوقاحة إلى الإسلام، خادشا اعتداله و سماحته وموضوعيته:

نعيب زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا
إن الخصوم يريدونها فتنة وتمزقا وانفلاتا ونارا ملتبهة يستدفنون حول موقدها،
غير أبهين بما تلتهمه بشرارة من أعواد فتية غضة: إنهم يريدون الأمة الإسلامية
دويلات ممزقة هنا وهناك، بين شمال وجنوب، وبين فرق وطوائف، حتى يتسنى
لهم الخوض في الماء العكر والصيد في المياه الملوثة.

ومع ذلك، فكثرة المصائب قد تأتي بالخير من حيث لا ندري ما دامت النيات صافية وبريئة من السلبيات فالشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه قد تظن لذلك حين قال: "- إن الناس إذا كانوا في شدة أحسن منهم إذا كانوا في عافية. لو كانوا يعلمون". و يعني بذلك أن البلاء يدعو للإنابة والاستدراك وإلى الانكسار

والصبر والتواضع، بينما كثرة النعم قد تؤدي إلى الغفلة واستمراء النعم، ونسيان تقديدها بالشكر.

فأمام هذه السيول الجارفة من التيارات الفكرية الغربية، وهذه البراكين المتأججة بالأحقاد وهذه الحمم من الفتن والانفلات، ما علينا إلا توخي الحذر والتحلي بالصبر والأناة، والتعرض للنفحات الربانية ولبركة شهر ربيع الخير الذي تفضل فيه سبحانه وتعالى على الإنسانية بميلاد عين الرحمة الربانية ومُزن الأرباح، سيد ولد آدم ولا فخر، محمد- صلوات الله عليه وسلامه-.

فلنجعل من مولده الشريف موعداً مع الإيمان والتضامن والوحدة، في ظل دوحة الود والرحمة. ولنحي ليالي هذا الشهر الفاضل، بما يُرضي الجليل تعالى ويُفرح المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم ولنكثر من الدعاء للأمة أينما كانت، من أجل الفرج، رغم تراكم النكبات وتكالب الأمم عليها.

فدعوة الغائب ليس بينها وبين الله حجاب، والدعوة العامة أبلغ لا محالة من الخاصة، لما يُشم فيها من معاني الخير والإيثار. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " - يُستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه "

و رحم الله الإمام الشافعي حين قال منشداً:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقَتْ فلما استحكمت حلقاتها فُرجتْ و كنتُ أظنها لا تُفرجُ
و لقوله أيضاً:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمداً، ولأمد انقضاء

الغيورة على الدين والمشرب، نجلة الشيخ البعقلي:
الأستاذة زينب أبو عقيل

عاشوراء في الميزان

والطبيعة وعلوم الفضاء.

• تأتي المناسبات بحمولاتها الفكرية والثقافية وتأتي معها إدلاء الدلاء وحمل الشعارات والسباق المحموم من أجل النفي والإثبات والتوضيح. والأستاذة زينب أبو عقيل تأتي إلا أن تزيل الكؤود وتبسط المعقد وتجلو مرايا الحقيقة فتابع سطور مقالها هذا تخرج بنتيجة الوسطية والجلاء والوضوح.

عاشوراء في الميزان، بين ما يصح وما لا يصح.

إن كلمة عاشوراء يراد بها اليوم العاشر من شهر محرم المبارك، والذي كان يوافق عدة مناسبات عقائدية لعدة أقوام مختلفة: يقال بأنها توافق يوم خلق آدم وحواء، ويوم استواء سفينة نوح على جبل الجودي بعد محنة الطوفان. وأهم ما عُرف به هذا اليوم هو نجاة كلیم الله موسى عليه السلام وقومه وإغراق فرعون وجنوده في اليم. ويحكي التاريخ أن قريشا كانت تصوم هذا اليوم تعظيما للبيت المحرم وفرحا بكسوته السنوية.

كما صادف هذا اليوم أبشع حدث في معركة كربلاء التي كانت كميننا وفخا نصبه الداهية يزيد بن معاوية لقتل سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنه خوفا على كرسي حكمه الأموي.

ومن المؤسف له، أن هذه الفعلة الشنيعة أيقظت الأحقاد وأثارت حمية شيعة علي رضي الله عنه لحد الغلو وتوارث الحقد والأحزان، مما أساء بالدرجة الأولى، إلى الصورة المشرقة للإسلام وإلى اعتداله وسماحته في أعين الغرب.

يبدو أن هناك عاملا مشتركا في هذه المناسبة المتميزة، ألا وهو صوم هذا اليوم، كل حسب اعتقاده. فنرى النبي صلى الله عليه وسلم يطالب المسلمين بذلك ويشجع على صيام ليلته أيضا للقادر والمتفرغ (التاسع محرم) وذلك حين رأى يهود المدينة يصومونه تخليدا لذكرى نجاة نبيهم وقومه آنذاك، فقال صلى الله عليه وسلم في ما رواه البخاري: "نحن أحق بموسى من القوم" وفي ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: "نحن أحق بصومه. فأمر بصومه." ولكن سرعان ما خيرهم صلى الله عليه وسلم في ذلك بعد فرض الصيام في شهر رمضان.

لقد أصبحت عاشوراء مناسبة فلكلورية غاية في الغرابة، تجمع بين التوحيد والشرك (ما هو إسلامي وما هو وثني أو مجوسي وما هو مسيحي وبدائي) فاختلط فيها الهزل بالجد والفرح بالحزن والدين بالخرافة خصوصا أن هذا اليوم عُرف أكثر بالشعوذة والدجل والسحر. كما امتزجت فيه النار بالماء وبالدم عند جلد الذات لدى الشيعة واختلطت الآهات بالزغاريد وظهرت على الساحة النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب وتلطّيح الوجه بالسواد تعبيراً عن الحداد.

ويقال إن من ابتدع النياحة في هذا اليوم بالذات عام 352هـ، هو معز الدولة البويهى الذي أمر بغلق الأسواق والمحلات التجارية وشجع النساء والبنات على الخروج إلى الشارع شُعْتًا، ملطخات الوجه بالرماد والفحم صارخات نائحات تعبيراً عن حزنهن لحادث كربلاء.

والغريب أن لعاشوراء بالمغرب علاقة بأضحية العيد، إذ يُقَطَّع القديد ليُصنع به تمثال يُجَسِّدُ رأس شهيد كربلاء الحسين رضي الله عنه مع إضافة عظم كتف الأضحية إلى كتف الدمية التي سُرِّبَط بخيط وتُنَبَّت بقصبة على شكل صليب ! ويعطى لهذه الدمية اسم "بابا عاشور" على منوال "بابا نويل" Papa Noël مع طواف الصبية في الأحياء لجمع العطايا والهدايا واللعب من المتبرعين (مما يدل على تضارب الأفكار والعقائد داخل التراث الواحد)، ومن ناحية أخرى، سرعان ما تُطَّل على المشهد روح الحزن متمثلة في مراسيم تأبينية غريبة: تُغَسَّل الدمية صبيحة عاشوراء وتُكْفَن وتُدفن في موكب من النواح والأهازيج التي تحكي قصة الغدر. كقولهم:

بابا عاشور كَيْتُوفَى سَدُوا عَلَيْهِ الدَّفَّة
قَدِيدَة قَدِيدَة منشورة فوق العواد بابا عاشور جا يصلي وداه الواد
هذا عاشور ما علينا الحكام أَلَّا عيد الميلود كيحكموا الرجال أَلَّا
وإلى جانب هذه الطقوس الغريبة، هناك ما يُسمى بـ"هَرْمَة" وخاصة بمراكش وهي شخصية هزلية مخيفة يرتدي صاحبها غالباً جلد خروف العيد (البطانة) ويضع قرونا على رأسه وقناعاً على وجهه (وهذا يذكر بالعادات البدائية والزنجية)

وعلى مسرح الأحداث، نرى هنا وهناك "طلاب الكُتَّاب" (الطُّبَّاء) يسرحون في الأحياء بألواحهم وختماتهم القرآنية لطرق الأبواب وجمع المال لفقير الحي، (كنوع من العشور)

وأخطر الظواهر على المحيط البيئي، هي ظاهرة إشعال النار (الشَّعَّالَة) ليلة عاشوراء والتنظيف حولها وتخطيها على الطريقة المجوسية والوثنية، وفي صبيحة يوم عاشوراء، تنتشر ظاهرة رش المارة بالماء (في شكل زَمْزَمَة أو تشبهاً بطريقة التعميد المسيحية بالماء المبارك. (l'eau bénite) :

في اعتقادي، أن هذه السلوكيات الغريبة والدخيلة هي من رواسب الفارسية: إذ يطلق الفرس على مثل هذه الشعالة في هذه الليلة بالذات بليلة الوقود، في عيد النيروز، وهي أيضاً من رواسب المسيحية المتفشية عن طريق التبشير، وما يُسمى لديهم بليلة النيران في عيد القلندُس (خاصة في أنطاكيا)، وأما عن عيد النيروز الفارسي، فإن عبد الله بن المقفع يقول مؤكداً: "... وأما عوام الفرس، فكانت عادتهم فيه (النيروز) رفع النار في ليلته ورش الماء صبيحته." (ويرجح فكرة

إزالة الأدخنة والأبخرة من الجو برش الماء بعد إيقاظ النار).
وأما حالياً، وفي عصورنا المتقدمة، فقد تطورت هذه السلوكيات الشاذة لتصبح
فوضى مسكوتا عنها، ومهرجانات فلكلورية يُروَّج لها، إلا أن رش المارة بالماء
الطاهر أصبح حالياً القدر يُصب على المارة من فوق الأسطح أو من
النوافذ، ناهيك عن ماء التطهير (جافيل) وماء النار (الماء القاطع) الذي يُرش على
وجوه الحسناوات وأكياس من الدقيق وحفلات من الطماطم وزنات من البيض،
كلها تُلقى على المارة في عشوائية وقلة الذوق (ويقال أن رمي البيض هو عادة
بدائية ترمز للخصوبة، كما ترمز لها عند المسيحيين في عيد ميلاد أمتهم ببيضة
الباك المغلفة بالشكولاتة). (l'œuf de pâques) وأما إيقاظ النار في الشَّعْلة،
فأصبح بالعجلات المطاطية (pneus et chambres à air) وبالأواني
البلاستيكية التي تلوث الأجواء!!!

ومن حسن الحظ لفترة معينة من الحكم العباسي والأموي أن لعبت السياسة دوراً
هاماً في محاربة مثل هذه الممارسات المشينة، كما حصل لبعض الخلفاء لضرب
الفكر الشيعي المتطرف الذي يساهم في إرساء هذه العادات المقززة، كالخليفة
العباسي "المعتضد" و"المعز لدين الله" و"الحجاج الثقافي" والأيوبيين بعد زوال
الحكم الفاطمي الشيعي آنذاك، إذ بُدِّل الحزن المفتعل بإظهار الفرحة والتوسيع على
الأهل وإكرام الصغار بالهدايا وتحرير الصبايا من قيد آبائهم للمشاركة بالأهازيج
والترانيم المفرحة.

وأما المغرب فقد عرف كغيره ثقافات وافدة عليه من الجهات الأربع، حتى أصبح
تراثه بالنسبة لعاشوراء تراثاً جامعاً لكل العقائد الخرافية. إلا أن الغالب عليه حالياً
في ظروف التوعية الدينية ولوجود كثرة أولياء الله والعلماء والفقهاء الذين يحمون
السنة من الشوائب، هي ظاهرة الصوم في عاشوراء والصدقة وصلة الرحم
وزيارة الأموات وإدخال الفرحة على الأهل وتبادل الهدايا.

هذا عن عاشوراء محرم، فماذا عن فاتح محرم؟
إن فاتح محرم هو أهم حدث في هذا الشهر من غيره، لأنه يمثل بإجماع الصحابة
رأس السنة الهجرية تخليداً للهجرة النبوية وللتعبئة الدينية لخلق ميلاد الأمة
الإسلامية. كان هذا الحدث من حسنات المُلهم عمر الفاروق رضي الله عنه الذي
أبى أن نتشبه بالمسيحية حتى لا يُعبد النبي صلى الله عليه وسلم فارتأى أن تكون
انطلاقة السنة الإسلامية من شهر محرم للصيق بذي الحجة شهر الحج والمغفرة.
فالحديث يطول إذن عن إيجابيات الهجرة، ولا يسعنا إلا أن ننبهه أنفسنا وإخواننا
في كل مكان إلى تعظيم مقدساتنا ونفحات ربنا ونجعل من أحداثنا دروس وعظ
ومن مناسباتنا ساعات الفرحة، لأننا أمة التطلع والأمل والتفاؤل وحسن الظن بالله
وبالناس.

وأملنا أن يتعرف صغارنا وشبابنا على تراثهم الديني ومعرفه أسماء الشهور العربية، كما يحفظون أسماء الشهور الميلادية، لأن أهم الأحداث الإسلامية تتعلق بها مباشرة: فالقرآن وليلة القدر وغزوة بدر وفتح مكة كانوا في رمضان، والحج وعرفة وعيد الأضحى في ذي الحجة، وعيد الفطر في شوال، والإسراء في رجب، وليلة الرغائب والمقادير في شعبان، والمولد النبوي في ربيع الأول، والهجرة وعاشوراء في محرم...

هذه هي حياتنا التعبدية، عبارة عن نفحات ربانية متمثلة في مسيرة من التحركات والأحداث والأفراح والتطلع للأفضل والأسمى والأرقى في كل شيء، فما علينا إلا اتباع هذا الدين القويم الذي علمنا كيف نتدين برقي وكيف نحيا في سعادة روحية عالية، وكيف نحترم هويتنا المتميزة ونعلن عنها بسلوكيات متحضرة وبمدنية راقية دون فوضى ولا عشوائية، ولا تسبب ولا رجعية، ولا تشدد ولا مغالاة، لأن أثر سلوكنا أقوى من أثر كلامنا، ولأن صوت فعلنا يغطي على الكلام والدردشة وفض المجالس.

فلنكن إذن، في مستوى المهمة المنوطة بنا داخل منظومة الشرع وتحت مظلة الأدب واللياقة والذوق السليم. ويرحم الله هذه الأمة التي بُعثت لتَهذب الأخلاق وتُعيد إلى الفطرة.

السيدة زينب أبو عقيل نجلة الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه

الشيخ الكامل يربي مرديه بالهمة

تعود السيدة زينب أبو عقيل إلى الاجابة عن التساؤلات المحيرة لغير المنتسب والمثارة من المنتسب لتوسيع مداركه والتزود بالشحنات الصوفية النقية ، ليحقق المنهج النبوي خيركم من علم ... وتعلم.

الشيخ الكامل يُربي مرديه بالهمة، حيا أو ميتا، وهو حاضر معهم يبارك خطواتهم بطلا برزخية، مئة من الله، الفعّال لما يريد، جل شأنه.

• قد يجيب هذا المقال على أسئلة بعض الحائرين، سواء كانوا من الداخل أو من الخارج، لأنّ اللبس كلّه كامنٌ في عدم الإطلاع على كتب أهل الطريقة وعلى أفكارهم.

وها نحن سنحاول بعون الله تعالى، كشف بعض الحقائق، لتتوير القارئ وتثبيت الأتباع:

أخي المرید التجاني، كن على يقين أن أعلام الطريقة هم حمايتها وهم مجددوها والغيورون عليها، رغم الوشاية والكيد والضرب تحت الحزام. فقد يتبادر إلى ذهن بعض المشككين الحاملين للواء التفرقة، على أن عبارة: الزاوية البعقلية أو الكنسوسية أو النظيفية، إنما هي من باب التحيز لأصحابها والتميز عن الزاوية الأم. بل ولقد ذهب بهم سوء الظن إلى نعتها بطرق أخرى متفرعة عن التجانية! ولو أنصفوا لعلموا أن أصحابها يقولون: الزاوية كذا، نسبة إلى مؤسسها، ولا يقولون الطريقة كذا. فحتى التجانية نفسها، فما سُميت كذلك إلا نسبة لمؤسسها لا غير، ولكنها في الواقع، الطريقة المحمدية بلا منازع. بل إن صاحبها رضي الله عنه كان يؤكد على أنها إبراهيمية محمدية وأحمدية وعلى نهج السلف الصالح. فأين الغرابة إذن، في ذلك؟!!

(وللتوضيح ورفع الإشكال، فهي محمدية مصطفىوية صرفة، ولا علاقة لها "بالطريقة الأحمدية" البابوية المُنتبّية والمنسوبة إلى غيره رضي الله عنه، والتي لم تزد الطين إلا بلةً و المشكلَ إلا تعقيداً!)

ونقدم إليك أخي في هذا البحث الموجز صدق ما نقول وصدق ما تؤمن به، بإلقاء الضوء على جانب الولاء في شخصية حامل شعار التجانية في زمن التحديات، "الحاج الأحسن البعقلي"، الذي لطالما تردد اسمه في هذا الموقع المنصف: لقد كان موجزاً من حفيد سيدنا الشيخ رضي الله عنه مباشرة ومعينة لا تقبل

الجدل ولا التشكيك.

• وهذا نص الإجازة المباركة، من طرف " سيدنا محمود بن سيدنا البشير سليل الأشراف التجانيين. يقول فيها رضي الله عنه:

- "الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأعظم. من عبد ربه الراجي بلوغ الأمان في الدنيا والآخرة ودار التهاني، سيدنا محمود، نجل سيدنا البشير التجاني، إلى جميع من يقف على هذه (أي الرسالة) من جميع الفقراء المحبين والمنتسبين لجدد القطب المكتوم سيدنا ومولانا أحمد التجاني الحسني رضي الله عنه، إني، ببركة الله أجرت وأذنت وكلفت وأقمت مقامي الفقيه الخير النبيه الثقة الصدوق، السيد "الحاج الحسن بن محمد ابن أبي جماعة البعقلي السوسي"، في تفقد جميع الزوايا بالقطر المغربي، من أقصاه إلى أدناه، والنظر في جميع أحوال الفقراء والمنتسبين للشيخ جده رضي الله عنه... حاصل هذا، أن يُنبّه جميع الغافلين ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، الذي فيه صلاحهم ومددّهم، ويُمدّهم منه ولا يتركهم هملاً. أدناه، أن يُرشد الأحابب أينما كانوا... والله يأخذ بيد الجميع، بجاه النبي الشفيح.

...ولتعلّموا أن هذا الوقت حُكِمَ عليه بالفساد وبفساد أهله، ولم تبق فيه نصيحة ولا عمل لله، إلا الذي رزقه الله محبة هذا الختم المحمدي، ومحبة أولاده، حفظهم الله. ولهذا أقمت مقامي حامل هذا (ويعني به الشيخ البعقلي، حامل الرسالة) ليطوف على جميع الأحابب، أينما كانوا ويرشدهم لأقوم طريق توصلهم فنصلحهم وتصلح أبناءهم، إلى لقاء الله، إن شاء الله... فمن وصلتته إجازة الحاج الحسن، فقد وصلتته الطريقة. خذوا عنه دينكم، فإنه مبارك. والموضع الذي وصله "الحاج الحسن"، وصلتته الطريقة، من صاحب الفيوضات التجانية) " أي من مؤسس الطريقة نفسه رضي الله عنه) انتهى.

هذا هو رأي سيدي محمود رضي الله عنه، فهل يبقى بعد ذلك شك في صدق كلام الشيخ البعقلي أو في ولائه لشيخه وسنده، القطب المكتوم سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه؟!

إنه يقول عن شيخه رضي الله عنه في إراءته الشهيرة:

- "في حدود الخمسين من القرن 12هـ، خلق الله خليفة النبي الأكبر، سيّد الأولياء ومددّهم... وتوجّه بتيجان ملوك الحقائق العرفانية من الأنبياء والعارفين ممن قبله... فأفاض عليه رضي الله عنه حلتة ونزله منزلته في الطرق الثلاث، وعلمه كيفية السلوك بهن... ثم أمده في حد الرابع عشر من القرن 13هـ، بالعلوم الثلاثة التي علّمها رضي الله عنه ليلة الإسراء... ومن ضمانه رضي الله عنه له، التربية بطريقته، إلى قيام الساعة، وأن أقل ما يكون بطريقته من المرابين أهل الرشاد، الذين سمعوه من الحضرة المصطفوية أو الحضرة الإلهية 900 (من الإنس 600

ومن الجن (300). ومنه أن الله قد أفاض الاسم الأعظم، بجميع تراكيبه على عدد كثير من أصحابه رضي الله عنه "... انتهى.
وها هو ذا رضي الله عنه يفتخر في كتابه "النفحة الربانية" بانتسابه إلى الطريقة التجانية التي بشره النبي الكريم بصلاحها، إذ قال له رضي الله عنه في إحدى الرؤى: " - السنة كلها اليوم في الزاوية التجانية".
وعندما علق رضي الله عنه على هذه البشارة قال: " - قد كاد خيط السنة أن ينقطع، فينقطع "سلك" بين النبي وأمه". انتهى (أي لولا امثال هذه الطريقة الغيورة التي أحيت السنة الشريفة لما بقيت حتى الآن)
فبالإتباع وحسن الإقتداء، استطاع هذا العلامة أن يخط بيده كلمات هن أبلغ توقيع للصدق والإنتماء، حيث قال رضي اله عنه:
- "ونحن في الطريقة التجانية أتباع زاوية فاس الكبيرة، التي دُفن بها القطب المكنوم، في كيفية صلاتها وغيرها... " انتهى.
• وأما عن عدم الالتفات إلى غير الشيخ رضي الله عنه، فقد أكد عليه الشيخ البعقلي ما مرة وفي أكثر من موضع، حتى أنه ساق آراء ربانيين مشهورين، لتعزيز فكرته

"، كالدقاق" الذي قال: " - المبايعون ثلاثة: الرسل، الشيوخ والسلطين".
فعلق على قوله هذا، بحميته البعقلية المعهودة، قائلاً:
- "إنهم خلفاء الله على عباده، وأما المبايع في الحقيقة، فهو الله (تعالى). (فلو رفعت الحجب لرؤيت يد المبايع في يد الله... " انتهى
ثم استشهد رضي الله عنه بالكلام البديع، لشيخ العارفين "ابن عربي الحاثمي" من "فتوحاته المكية" التي يقول فيها:

- "واعلم أنه كما لم يكن وجود العالم بين إلهين، والمكلف بين رسولين، مختلفي الشريعة، ولا امرأة بين زوجين، كذلك المرید بين شيخين، إذا كان مرید تربية، فإن كان صحبة بلا تربية، فلا يبالي بصحبة الشيوخ، لأنه ليس تحت حكمهم، وهي تسمى صحبة البركة... " انتهى.
لم يفت الشيخ البعقلي التعليق، بطريقته البسيطة الواضحة، على كلام ابن العربي، فقال في نفس الصفحة:

- "فنحن والله الحمد، طائفة المعرفة بالله، الواقفون مع فعل الله، لا مع العبد. نعظم نعمة الله ولا تشغلنا ونعظم الأولياء، ولا يقطعوننا عن الله... فالممنوع هو زيارة الانتفاع من الولي، وأما الزيارة بمعنى التعظيم في العلوم والإكرام الظاهر، فأمر مشروط في الطريقة... " انتهى.

وقال رضي اله عنه مفتخراً بانسلاكه في طريقة النجاة والسلامة:
- "ولقد أشهدني الله مشاهدهم (أي الصوفية) وقطع بي مراتب السلوك، وشاهدت

جميع ما ذكر في كتب الصوفية وأزيد منه. وقطعت عقبه قبل انسلاكي ظاهراً في الطريقة التجانية: فقد أوصلنا الفاعل المختار حضرة الوقوف من غير تحرك ولا سكون... " انتهى.

(كان رضي الله عنه يريد الإشارة إلى أن التجانية ليست طريقة الزهد المادي ولا الرياضات والعزلة عن الناس، بل هي تحث على أدوم الطاعات، حتى ولو كانت قليلة في عين العامة، فهي كبيرة عند الله، لأنها بعدد أنفاس المرید ونبضات قلبه وطفرة عينه وكل حركات وسكون كيانه.)

ثم نراه يشفق على الغافلين من المشككين حتى قال غاضباً لله، في كتابه "النفحة الربانية": " - فما قُتل مَنْ قُتل من الصوفية إلا بالخطأ وبالذليل العقلي... وأي دليل يُكفر الغزالي وابن العربي الحائمي وأبا المواهب الشعراني والإمام أبا حنيفة! فاتقوا الله يا علماء الأمة في أوليائه. فالعارفون هم العلماء الكاملون فيه. فكل من لم يُفتح له باب قدرة الله، فالأولى به أن يسكت... " انتهى (ص: 16 و 17) وفي الختام لا يسعنا إلا أن نضم أصواتنا إلى صوته رضي الله عنه، ونقول لبعض علمائنا ممن حُجِّبوا عن رؤية أولياء الله بحجاب العقل أو المعاصرة: إنهم صمامو أمان الأمة، فلا تعطبوا هذه الحماية الربانية ولا تُفجعوا الأمة في رموزها المحسوبين على الله، الذاكرين الله كثيراً في السراء والضراء وفي السر والجهر، الدالين عليه دوماً.

ألا إنما الإنسان بالعلم يُذكر وحامله يُعطى الثواب ويشكر وتظهره الأيام بعد خموله ويطلع في برج السعود ويُشهر فما سبق إلا بالنجاة والحجا وما الكنز إلا ما تضمّن دفتر

أختكم في الله السيدة زينب أبو عقيل نجلة الشيخ البعيلي

الفرق بين العالم والعارف بالله

أخي القارئ الكريم، إن هذا الحديث الخاص، هو موجه بالتحديد إلى فئة واحدة من الشباب الباحث عن الحقيقة في جنبات هذه الواحة المعرفية الوارفة الظلال، والتي يزينونها بين الفينة والأخرى، بتساؤلاتهم واستفساراتهم، لفهم بعض ما غاب عن أذهانهم من المصطلحات الروحية، ككلمات: عارف بالله، والفيض والمشاهدة والتجليات والأسرار، وغيرها من عبارات الإشراق.

الموضوع: الفرق بين العالم والعارف بالله، كالفرق بين السماء والأرض.
فالموقع، هو منكم وإيكم، ولا يسعه إلا أن يلبي طلباتكم قدر استطاعته وحسب برنامج التربوي: فكلمة عارف، التي تتردد على صفحات الموقع، هي أساس كل هذه المصطلحات. ولفهم هذه الصفة لأبد من فهم مصدرها الذي هو المعرفة:
• فالمعرفة في قاموس اللغة: هي الإلمام بالعلوم والمعارف، عن طريق العقل والتعلم، بالعلم الكسبي وبالبحث والتنقيب.

• وأما في القاموس الروحي: فهي الإلمام بعلوم الحقائق والأسرار، بفضل الفيض الرباني، عن طريق نور البصيرة الذي يقذفه الخالق في قلب الذين اصطفاهم لتتویر العباد، حين علم منهم الصدق واستكمال حقائق اليقين، والذين عرفوا بأهل الله وأهل الفتحة والكشف والمشاهدة وبأهل الكمال وأهل الوهب، لما يُفاض عليهم من المعارف الوهبية، من لدن الوهاب الذي يُوتي فضله لمن يشاء، بواسطة العلم اللدني. والذي يُعرف من خلاله جل وعلا بنفسه لعبده الصادق الذي فرش له وجهه وأقام له قدميه في الصلاة، وبسط لذكره سجادة القرب الذي يعطيه الإحساس بالإرتقاء، وأطفأ شموع عقله حين طلعت عليه أنوار الحق، ولجم نفسه بلجام الورع، بتراجعه عن كل خاطر فاسد.

وتعد المعرفة أول شرع الله، وهي العلم الفوقي الذي يعلو ولا يُعلا عليه، لأنه العلم بالخالق، بينما غيره من العلوم تبقى دنيوية صرفة، تخوض في أسرار الكون والمخلوقات لا في المكوّن، خالق المخلوقات والفاعل الحقيقي، المدبر لكل شيء في الوجود.

• والمعرفة الحقيقية الكاملة هي التي تضمنت المفهومين معاً الخاص والعام: فهي العلم الواجب معرفته لأنه يُعيّننا على فهم منهج الله والعمل بمقتضاه: كالعلم بالخالق وبالفرائض والكبائر ومحبطات الأعمال، والعلم بأغوار النفس وأغراض الدنيا

وإغواء إبليس، وكذا العلم بخبايا الأسرار.
وليس هناك من كتاب أفضل من القرآن لفهم كل هذه المجالات، إذ فيه يُعرّف الله
بنفسه تقديساً، في آيات التوحيد والإخلاص، وتوصيفاً في ذكر أسمائه وصفاته
وأفعاله، وعبرةً في عرض قصص الأقسام البائدة أو الشخصيات النموذجية،
وإعجازاً في سرد معجزاته الكونية والتكوينية وفي الإخبار بالغيبات كلها، من علم
الباطن ومن جن وملائكة وجنة ونار وبعث وحشر وحساب...
• فالمسلم العادي، ليس مطالباً بالضرورة إلا بالقدّر الذي يُقيم به دينه، من معرفة
الأوامر والنواهي.

• والأُمِّيّ، ليس مطالباً إلا بحضور دروس التوعية الدينية في بيوت الله
أوباستعمال الوسائل التقنية الحديثة، في جلب المعلومة أو حفظها، عن طريق دروس
الوعظ، بواسطة المدياع والتلفاز والفضائيات، أو عن طريق الأشرطة التسجيلية
والأقراص المُذمّجة.

• وأما العارف بالله، فهو السائر إلى الله بروحه وذاته وقلبه وهو العالم الحقيقي،
حتى وإن جهل علوم الذرة والكيمياء والجاهل بالله، يظل جاهلاً مركباً، حتى وإن
كان عالم عصره وناطقة زمانه، إذا لم يهده علمه بالكون إلى معرفة خالق الكون
نفسه..

وبالتالي، فعلم العارف، أساسه البصيرة: وما أنكرَ مَنْ أنكرَ إلا لضعف بصيرته أو
لتعصبه أو لحسده أو لأميته الدينية، التي أصبحت سمة هذا العصر، ويا للأسف:
فإنه جل وعلا، يُفيض على أصفیائه من الأسرار والمعارف ما لا يطيقه غيرهم
، لأنه تعالى يُعطيهم الفتح والسرّ معه، ليتحملوا تجليات المشاهدة، لما علم فيهم من
محبة وإخلاص وصدق ويقين تام، وللحجب التي خرّقوها بأدبهم مع الله، بزهدهم
القلبي قبل البدني، استغناءً بالحق عما في أيدي الخلق، وبعدم تجربتهم، سواء على
المباح بوازع الورع، أو على التأويل بنعمة التقويض، وبيحثهم عن لذة المعرفة في
الدنيا، ابتغاء الحصول على لذة النظر في وجه الجليل في الآخرة، إذ هم
المتطلعون إلى نعيم النظرة لا إلى نعيم الجنة، لأنهم أصحاب المزيد، لقوله جل من
قائل: -"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"

• ورحم الله الصوفيّ الجليل الذي قال قولته الشهيرة -: "جاهدْ تُشاهد" أي رَقِّقْ
حُجبك، فإن العوارض النفسية والدينيّة تحجب نور شمس الحقيقة الربانية.
• وأما ابن عربي العارف الرباني (ض)، فقد شرح في "فتوحاته المكية" معنى
المعرفة عند أهل الله من المفتوح عليهم، قائلاً:

- "فكل شرع ظهر وكل علم، إنما هو ميراث محمدي. أما نحن (أهل الكشف) إنما
لنا علم وحكمة وفهم عن الله فيما شرعه الله، على سنة رُسله وأنبيائه... والله ما
كتبتُ من حرف إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني و نفث رُوحِي في رُوع

كياني... مع كوننا لسنا برسول مُشَرَّعِين ولا أنبياء مُكَلَّفِين ، لأن التشريع والنبوة قد انقطعا عند رسول الله؟ : وإنما هو علم وحكمة وفهم عن الله... فأهل الله معلومون بالمقام ومجهولون بالشهود ، لذلك لا يُعْرَفُونَ... " انتهى

• ويقول الشيخ البعقلي في هذا الشأن، في "الشرب الصافي": " -لقد أطلعنا الله على بحور الحقائق وأمواج الأسرار وكنوز القلوب والصدور... ونحمد الله الذي تفضل علينا به: فصدور الأحرار قبور الأسرار... " انتهى وقال في " النفحة الربانية " :- " فقد أوصلنا الفاعل المختار حضرة الوقوف من غير تحرك و لا سكون... فاتقوا الله يا علماء الأمة في أوليائه، فالعارفون هم العلماء الكاملون فيه. فكل من لم يُفتح له بابُ قدرة الله ، فالأولى به أن يسكت... " انتهى

فأفضل الربانيين إذن، مَنْ أُعْطِيَ المشاهدةَ قهراً وتفضلاً، دون أن يطلبها ولا أن يسعى لها بكثرة المجاهدات والرياضات المضنية التي ترهق الذات وتبعد عن الجماعة وعن مواجهة الشر و رجاله في ساحة التعايش والتعامل مع الآخر، بل يقويه الله عليها، بنور القوة ونور الفتح معاً، حتى يطبق الفتح الذي يدخل على ذاته، من كل الجهات وخاصة حين يضيف المفتوح عليه إلى المشاهدة القدسية المشاهدة النبوية التي أفيضت عليه بكثرة الحب و الصلاة على المصطفى (ص) حتى سقيَ بالأنوار أكثر من غيره : فكمال المشاهدة لا يكون إلا بعدم الانقطاع عن مشاهدة نبي الرحمة (ص)

أجل، فحين بلغ العارفون ما بلغوا عند باريهم من المكانة، وعرفوا ربهم بعبادة القلب والجوارح، فإنهم أوجبوا على أنفسهم مهمة التعريف به، لدى خلقه جل وعلا، بالتربية والتهديب والتوعية الدينية بشقيها، الظاهر والباطن، فأنشأ معظمهم بيوتاً لله ومنازلٍ للوعظ، للدلالة عليه سبحانه وتعالى، وطرقاً تربوية خالية من الشبهات والبدع الضالة، لا كغيرهم من بعض الطرق الصوفية التي أساءت للتصوف السني وجرت عليه الويلات وجرأت عليه الأقلام السليطة أو المغرضة التي مزقت بانياب الفتنة النسيج الوجداني للأمة المسلمة.

وخير العارفين، الأقطاب الذين تدور على رحاهم الإشراقات والتجليات، وأفضل هؤلاء الأخيار خاتم الأولياء وغوث الزمان الذي سقيَ أكثر من غيره بالأنوار المفاضة عليه من حضرة الحقيقة المحمدية للدلالة على الله و عليه (ص) بالنيابة توفيقاً وتفضلاً من صاحب المنة و الفضل سبحانه وتعالى. وهذا الغوث هو سيدي أحمد التجاني (ص) (الذي شهد له بذلك الكمل من الواصلين في زمانه و حتى بعض الأقطاب السالفين ممن عاينوا حقاً المراتب وأخبروا، بالتفاوت في درجات المقامات، كشفاً.

و لاختصار ما قيل، فإن العارف بالله "الحاج الأحسن البعقلي" يقول في "الشرب

الصافي" : - " فالفقيه إذا ارتقى صار صوفياً، والصوفي إذا ارتقى صار عارفاً،
والسالك لا يرى إلا أنوارَ حسناته فهي التي تُشرق عليه، لأنه قصدها، والصوفي لا
يرى إلا أنوارَ اجتهاده، والعارف يرى الحقائق من حيث هي، فلا يشغله الحق عن
الخلق ولا الخلق عن الحق... والفقيه يتصرف في الشريعة والحكيم يتصرف
بطرف خفي، والعارف يتصرف في الثلاثة، والغالب عليه الحقيقة... " انتهى
• وجاء في إحدى رسائله الوعظية الموجهة إلى الفقراء التجانيين ما يلي:

"- إلى الإخوان أينما كانوا، فالله يفيض علينا وعليكم سرّاً ما جاء به نبينا ص) وأن
يفيض علينا وعليكم سرّاً ما تلقاه شيخنا ض) من النبي ص) وأن تتعلق قلوبنا
وقلوبكم بالرب الكريم، حتى نرضى به وبفعله، فلا نجد من فعله ضراً ولا مُراً،
فيستلذّ طبعنا فعل ربنا الأكرم... فأخلصوا أعانكم الله، فإن الإخلاص سرّ الله، لا
يعلمه ملك ولا شيطان. وفي مقام الإخلاص سكناً وهو وطننا، وأعني بالإخلاص
إخلاص العارفين لا الصوفية. فأخلص الصوفية إفراد العمل لله مع مراعاة العمل
ورجاء ثواب الأعمال وإخلاصنا أن ترى الله أوجدك بلا سبب منك، وشرّفك
بالوجود عن ضده. كتب إليك كتاباً بيده يُقرأ وأرسل إليك رسولاً فضلاً، وصيرك
أهلاً للتكليف فضلاً ووقفك له فضلاً وعلمك لا إله إلا الله فضلاً... فوقفنا بخط
مستقيم مع نبينا معانية ومع شيخنا عياناً، فعبدناه على وجه المحبة لذاته والإستحقاق
والتكليف، من غير اعتمادٍ على غيره ولا رجاءٍ من الأعمال، بل منه تعالى. فهذه
عبادة أصحاب سيدنا بين يدي ربهم. جعلنا الله منهم أمين. " انتهى

فهذا أخي السائل هو الإخلاص وهذه هي العبادة القلبية، وهؤلاء هم العارفون وإن
لم يأخذوا حقهم من التعريف كما يستحقونه فعلاً، وهذه هي مسيرتهم الروحية
الخالية من الانحرافات الوجدانية ومن الشطحات الصوفية ومن الحلول والإتحاد
و من كل ما أُلصِقَ بهم ونُسب إليهم من الوشاة أو الجهلة أو أشباه المتقين: عفا
الله عنهم بما نهشوا في لحوم أوليائه، وغفر لهم بفضلهم، ما تسببوا فيه من بلبلة
العقول وزعزعة القلوب.. وأينج الله أمتة الآمنة، من معاول الهدم والتخريب.
ونختم بالدرر البعقلية التي قال صاحبها ض:)
"- إن أعرف الناس بالله أخوفهم له (عرفت، فالزم) واعلم أن لكل مقام رجالاً
وأن لكل رجال مقاماً وأدباً. و واعظ اللسان ضائع كلامه و واعظ القلب نافذة
سهامه" ...

الحقيقة المحمدية تشرحها كل من صلاة الفاتح وجوهرة الكمال

Objet : «la Vérité Mohammadienne», est explicitée par «Jawharat-Al-Kamal» et par «Salat-Al-Fatih», prières lumineuses, d'éloge et de grâce.

Pour pouvoir supporter les charges de la «Daâwa», et recevoir les révélations divines, Allah a préparé ses messagers, à cette mission, si délicate: par conséquent, IL les a doués de quelques particularités, telles, la pureté, la sincérité, l'indulgence et l'endurance. Mais malgré que le Clément, a témoigné les bonnes qualités de certains prophètes, il n'empêche qu'IL en a privilégié certains d'entre eux et, IL en a même favorisé Son bien aimé, sidna Mohammed (P.S.L.), grâce à ses qualités remarquables qui ne sont, au fait, qu'une démonstration de sa haute morale, étant la preuve éclatante de sa prophétie et de sa particularité, car il est (P.S.L.) l'incarnation de la bonté, de la pureté et de la piété: Il est l'éminent, le généreux, le miséricordieux, l'indulgent le soucieux, et l'attentif...

+ Les signes de la perfection de «la vérité Mohammadienne», selon la révélation:

Sidna Mohammed (P.S.L.), jouillit d'une grande estimation, et d'une considération divine, qui fait de Lui, le sceau des prophètes, l'élu suprême, le Maître de l'intercession, l'éloquent, qui possède les clés des mots (Jawamiô Al Kalime), celui qui a dit : «- Je suis Mohammad, et je suis Ahmad, par lequel, Allah, efface la mécréance! Tous les gens seront rassemblés derrière moi, et nul prophète ne viendra après moi.»

Il a déclaré aussi, son utilité par rapport à l'humanité, en disant : «- Allah est le pourvoyeur et moi le distributeur des vivres et des ressources.»

Tout ce rang, si distingué, l'a eu, aussi, par ses qualités

humaines innombrables, et par ses bons caractères de moralité, qu'Allah a confirmés, ouvertement et directement, en disant:

«- Tu es, certes, d'une moralité immense.»

Mais, sa modestie et sa courtoisie, l'ont poussé à avouer, qu'il n'est pour rien, et que tout revient à Son Maître le Généreux:

«- Mon Seigneur m'a bien éduqué, ainsi, IL a bien Réussi mon éducation.»

Allah, le Clément, nous rappelle, alors, le rôle de ce messager, si particulier, pris parmi nous, et qui partage avec nous, joies et peines: «- Celui qui est plein de sollicitude pour vous, qui est compatissant et miséricordieux, envers les croyants. » (: sourat Atawba, verset 129)

«- Et suivez-le, afin que vous soyez bien dirigés.»

(واتبعوه لعلكم تهتدون) (سورة الأعراف الآية 158) صدق الله العظيم

+ Les signes de la perfection de la Réalité Mohammadienne, selon la Tijaniya

Cette pure confrérie, est connue par sa droiture et par ses fondements, sur la révélation Divine (coran et sounna) et sur l'amour passionné, envers le Créateur le Tout Grand, et envers son Messenger préféré (P.S.L.), ainsi qu'envers Sa famille chérifienne et Ses fidèles compagnons, sans déficience ni exagération, d'où toutes les litanies, les oraisons, et toutes les évocations continues : y compris «La prière de l'ouverture, renommée : Salat-Al-Fatih» et celle de «la Jawharat-Al-Kamal» dite : joyau de la perfection Ces deux prières sur le prophète (P.S.L.), sont lumineuses, très particulières et avantageuses, vu leurs dons et mérites. Le prophète (P.S.L.) est décrit dans ces prières, comme étant l'image parfaite de l'humain, dans toute sa splendeur : Il est à l'origine de toutes créations, et la Source de la miséricorde divine, qui verse les lumières du savoir, de la spiritualité et de la sagesse, dans les coeurs des fidèles, selon leurs capacités, leurs niveaux de dévotion et leurs degrés de dévouement.

Il est décrit dans la «Jawhara» comme étant le centre de l'univers, le joyau le plus précieux et le plus éclatant, le Trésor caché et dissimulé, l'éclair éblouissant qui provoque les nuages condensés, annonciateurs d'abondance et de fertilité, matérielle que morale. Il est aussi, la vérité de toutes les vérités et de toutes les gnoses et les significations.

+ Traduction approximative de la «Salat-Al-Fatih» et de la «Jawharat-Al-Kamal»:

1- «Salat-Al-Fatih» ou «la perle unique et la prière d'ouverture»:

«- O Allah, Prie sur notre seigneur Mohammed qui a ouvert ce qui a été clos et qui a scellé ce qui a, déjà, précédé. Celui qui défend la vérité par la Vérité, et qui guide dans le droit chemin.

Bénis-le, ainsi que sa famille, à sa vraie valeur et à l'estimation de son ultime Dignité.»

Remarque:

Cette prière est très similaire à celle de Sidna Ali (qu'Allah l'agrée), d'après l'ouvrage : (Achifa de : Alkadi Iyad.)

En voici la fin : «-... O Allah, Accorde Tes nobles prières, Tes abondantes bénédictions et Ta douce pitié, à Ton serviteur et messager, Mohammed, sceau de ce qui a précédé, ouvrier de ce qui était clos, Soutien de la vérité par la Vérité, destructeur des armées de l'égarement.»

2- «Jawharat-Al-Kamal», ou «joyau de la perfection»:

«- O Allah, Répands Tes grâces, et Accorde Ton salut, à la Source de la Miséricorde Divine, et au pur Diamant éclatant, versé, indéfiniment, dans la Vérité : Celui qui est au Centre des univers, en cours de formation, l'Humain qui possède la Vérité Divine, tel l'éclair luisant, traversant les nuages précurseurs de Miséricordes Divines, et porteurs de pluies bienfaites, emplissant, sur leurs chemins, aussi bien, les petites que les grandes étendues d'eau. Celui qui est Ta

lumière étincelante, qui se propage et s'étend sur toute l'existence, en l'englobant, dans tous ses lieux et ses environs !

O Allah, Répands Tes grâces et Accorde Ton salut, à la Source de la vérité dont jaillissent les pures Vérités. Celui qui est à l'origine de toutes les connaissances, l'Homme le plus droit, tel Ton sentier le plus rectiligne, par lequel se manifestent les Majestueuses Réalités!

O Allah, Répands Tes grâces et Accorde Ton salut à la Manifestation de la vérité par la Vérité, le Trésor, le plus sublime, aux flux, venant de Toi et retournant vers Toi, et «la quintessence» des lumières Dissimulées à toutes les connaissances !! (Ihatatou Anouri Al moutalssami)

Qu'Allah répande Ses Grâces sur Lui et sur les membres de sa famille, Grâces par lesquelles, ô Allah, Tu nous le fais, sûrement, connaître.»

Bref, «la Vérité Mohammadienne» est une réalité approuvée, et nul ne peut la nier ni l'ignorer, sauf pour ceux qui sont dépourvus de tout bon sens et de toute équité:

Notre Grand Seigneur nous avertit, en disant :

«- Et dis : la Vérité émane de Votre Seigneur. Quiconque le veut, qu'il croit, et quiconque le veut, qu'il mécroit.»

(وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (سورة الكهف الآية: 29) صدق الله مولانا العظيم.

Mme. Zaineb ABOU AKIL, (fille du Sheikh ALHAJ AL AHSSAN AL BAAKILI).

القطبانية العظمى

إن أفضلية النبي صلوات الله عليه وسلامه، تتمثل في المثلث الذهبي: الخيرية، الأسبقية والختمية، واختار الحق ختمًا للولاية لينوب صاحبها عن الحقيقة المحمدية، فأجلسه تعالى على كرسي الخلافة العظمى، في المملكة التصريفية.

أسباب الأفضلية الكبرى، تشرح مفهوم "الحقيقة المحمدية:"

إن أفضلية النبي صلوات الله عليه وسلامه، تتمثل في المثلث الذهبي: الخيرية، الأسبقية والختمية، والسبب في ذلك قوة السقي بفيضة الأقدس وتجليات الاسم الأعظم، وتميز نوره عن الأنوار وهكذا، ظهرت الحقيقة المحمدية في الأزل، لتكون مظهرًا للفيوضات الإلهية من دون حلول ولا اتحاد، ظهرت بشقيها الأحمدى والمحمدى، وفتحتها الأكبر والأصغر: "الذي إذا ما دخل نوره على الذات، دخل عليها من كل الجهات، فيكشف الغطاء ويزول الحجاب بين الروح والذات." حسب الشيخ البعقلي رضي الله عنه في "الشرب الصافي". وبهذا يصبح المفتوح عليه في العموم في وفاق مع النفس وتناغم وشفافية عالية تُنشط الفراسة وتزيد من الإشراق. ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يرى بكل ذاته، من خلفه ومن أمامه، وينام وعين قلبه يقظة، وروحه تسبح في ملكوت الله عز وجل: وبهذا التفضيل والتميز لقب صلى الله عليه وسلم بالفتاح الخاتم والذي قال عنه الشيخ البعقلي رضي الله عنه في: "إعلام جهال بحقيقة الحقائق -" "بوجوده فُتحت مغالق الأكوان ثم أغلق بها ظهور صور الموجودات، وبه فُتحت مغالق الرحمة ومغالق القلوب من الشرك"...

– ولكن هيهات أن يفهم هذه العبارات من غابت عنه أسرار الإشارات: وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيامًا تسَلَّوا عنه بالحلم

– وهيهات مرة أخرى أن يستوعب لبَّ معناها من انكوى بنار الحسد والمكابرة:

لا تعجب لحسود راح يُنكرها تجاهلاً وهو عينُ الحاذق الفهم

– وهيهات ثم هيهات ألف مرة، أن يستطعم حلاوتها من فقد حاسة الإدراك والتذوق:

وقد تُنكر العينُ ضوءَ الشمس من رَمَدٍ ويُنكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَمٍ

حين تُخبر الأفضلية عن حقيقة "القطبانية العظمى":
فكما أن الحق تعالى اختار لرسالته أشرف خلقه، وخلق من الأنبياء أشرفهم وأحبهم
وأصلحهم للبشرية جمعاء، وختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة، فإنه جل
وعلا، أخرج من رحم النبوة الولاية ومن رحم المعجزة الكرامة وجعل للدعوة
استمرارية على يد المجددين الربانيين. ثم اختار ختمًا للولاية لينوب صاحبها عن
الحقيقة المحمدية، فأجلسه تعالى على كرسي الخلافة العظمى، في المملكة
التصريفية: إنه قطب العصر والزمان سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه، بشهادة
من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقظة في تصريح شفوي لا التباس فيه، كما
يتعارف عليه أهل التحقيق والتصديق.

سئل الشيخ التجاني صاحب الكمالات والفيوضات، عن مفهوم "القطبانية العظمى"
فأجاب في إحدى رسائله رضي الله عنه: "إنها الخلافة العظمى، نيابة عن
الحقيقة المحمدية. وإن أعلى الأقطاب درجة وأرفعهم مكانة، من بلغ الختمية وختم
المقامات." انتهى.

وأذن النبي للشيخ بأن يُلقن الأنام ورده الحَسَن
وفاق في الخيرات كل غوث لغرفة من منبع المعارف
كان ذلك في منتصف شهر صفر الخير (18 منه)، مما جعل بعض المحبين
وخاصة في آسيا وإفريقيا الغربية، يُحيون تلك الذكرى المباركة:
ولتقوموا بعهدة كي تتألوا غاية السر فيه أي قيام
فهذا الكلام العميق، من مقام التسليم والتصديق، ولا علاقة له بالعقل والتجربة،
فحكم العقل فيه الوقوف بأدب عند عتبة التواضع، وأما القلب ففيه فراغ لا يملؤه إلا
الإيمان المطلق، ولا بن عربي (ض) رأي في هذا الشأن: "إن أقل درجات أهل
الطريق التسليم، في ما لا تعلمه أنت، وأعلاه القطع بصدقه. وما عدا هذه المقامين
حرمان." انتهى.

فما كان فضل الشيخ أحمد سيدي على كل قطب قبله بعُجاب
وليس لما أعطاه ربي مانع فيُعطي الذي يعطي بغير حساب
أولئك خلق فضل الله بعضهم على بعض في رزقه وثواب
أخي القارئ اللبيب، لعلك اقتنعت أخيرا بما غاب عنك أو أشكل عليك، فاعلم أن
تعظيم الرموز من واجب التوقير ولا بدعة فيه، فعظم نبيك كيفما شئت وبالطريقة
التي تستحسنها، ما دمت تحت سقف الشرع، وعلى عتبة الأدب. واعرض عن
المنكرين فإنهم أصحاب مرء وجدال، بل هم ممن لا تفرحهم تباشير العيد ولا
يطربون للأغاريد!

أمنكر فضل الشيخ من غير خبرة والإنكار عن الجهل غير صواب
أنتكر نور الشمس عند شروقها وقد قابلتها العين دون حجاب

وأنت أيها المريـد التجاني، طيب نفساً وقرّاً عيناً فإنك على حق لأنك متمسك بالحق
على طريق صاحب الحق: فلا تخف دموع الفرح بعد اليوم، وارفـع عنك كل
وصاية فإنك من السعداء الذين وجدوا طريقهم إلى الله من غير عناء.
أبشروا معشر المحبين فيه بنجاح مؤبد مُستدام
فلتطيبوا نفساً فليس كمثل الشيخ في الوعد والوفا بالذمام
فعلى قدر صدق المريـد ينجلي عن حجاب كل لثام
حقاً، فزتم بما لم يفز به غيركم إلا من فعل مثلكم وحصل على الانتفاع بالاتباع،
لأنه،
على قدر فتح الشيخ يكون فتح المريـد.

السيدة زينب نجلة الشيخ البعقيلي رضي الله عنه

كيف أكون مسلماً ومواطناً صالحاً حتى لا أسقط في شرك المنحرفين؟

دعوة من السيدة زينب أبو عقيل إلى انتهاج خطوات عملية لولوج دائرة الصلاح وفق المنهج الإسلامي، الذي طبقه الأسلاف الكرام من قبل.

Comment devenir un bon musulman pour éviter de tomber dans la déviation

Louange à ALLAH, le tout Puissant, que la paix et la bénédiction soient sur son messager Mohammed, le sceau de tous les prophètes.

Certes, pour maîtriser une chose, il faut d'abord la connaître. Ceci dit, pour devenir un bon musulman, digne de se nom, il faut s'instruire sérieusement, en matière de religion et de divergence, en se basant sur les sources fondamentales de la Chariâa : le Coran (parole divine) et la souna, (tradition chérifienne), sans oublier les interprétations fidèles aux textes de base, de nos « Oulamas » et « Aïmma », et surtout, l'avis prioritaire de nos pieux prédécesseurs: qu'ALLAH soit satisfait d'eux.

? Que doit-on savoir alors, sur l'Islam

L'Islam est le sceau de toutes les religions divines antérieures. Donc c'est le dernier système universel indispensable à l'humanité, est aussi la solution aux problèmes de tous les temps.

Il est révélé en milieu sémitique : pour montrer la valeur de la connaissance et du Savoir, et pour mettre en valeur la

personnalité chérifienne.

C'est une religion de bon sens et de valeurs : qui s'adapte avec les circonstances et les conjonctures, et respecte les différences et les us et coutumes.

Sa force et sa continuité, résident dans sa simplicité, sa clarté, sa tolérance, sa miséricorde et sa justice sociale, qui confirme l'égalité et l'équité.

Elle est basée sur l'amour, de Dieu, de son prophète Mohammed (que le salut soit sur lui), de tous ses prophètes antérieurs, et sur l'amour d'autrui.

Elle insiste sur l'amour de fraternité religieuse, au sein de la « Jamaâ » , pour confirmer l'union et la force, en même temps.

Elle encourage le travail bénéfique, qui fait partie du culte, dans le but de combattre le chômage et l'oisiveté.

Elle pousse vers le Savoir, base de toute renaissance et de toute réussite sociale, en libérant la raison des préjugés des tabous et de la superstition.

Et elle gère, surtout, nos intentions, nos impulsions et nos actes, d'où la vraie signification du mot :Foi, dans « les Hadiths et Arriwayats », tels que : « - LA foi, est ce qui réside dans le coeur, et les membres le traduisent en actes ».

« - La foi, consiste à croire en ALLAH, aux anges, aux prophètes, aux livres divins, à la résurrection, à la vie future et au destin (son bien et son mal). »

« - La foi comporte soixante et quelques branches, dont la moindre, consiste à écarter, du chemin, ce qui nuit aux gens ».

Ajouter à cette foi, si pure et si claire, toutes les valeurs ; après avoir prononcé les deux attestations de la foi et fait toutes les obligations religieuses et tous les actes de dévotion ; tout en restant en contact permanent avec ALLAH, par le biais du repentir :et par le fait de soigner souvent, son intention, envers lui, le tout Puissant.

Il faut aussi éviter la violence, le mensonge, l'hypocrisie, la

triche, l'usure, l'escroquerie, les mauvaises fréquentations, sources de toute déviation, les endroits suspects, foyer de tous les péchés, et Renoncer à tout ce qui est interdit et illicite, pour préserver sa santé physique et morale.

Et ne jamais oublier qu'on sera jugé dans le « au-delà » selon la Aya coranique qui dit: « - Est-ce que les gens pensent qu'on « les laissera dire : nous croyons, sans les éprouver»d

(أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون
صدق الله العظيم).

Mme. Zaineb ABOU AKIL : fille du Shekh ALHAJ AL AHSSAN AL BAAKILI

خطر الفكر البدعي

لا معالجة للفكر البدعي والفكر التكفيري إلا بالتوعية الدينية الصحيحة: (فكل المصائب، سببها الجهل بالدين)

من المعلوم تاريخيا أن الإسلام لم ينتشر، ماضيا وحاليا، في بقاع الأرض، إلا لعالميته وعدله وحلمه وسماحته وبساطة مبادئه، وعدم تعارضه مع الفطرة البشرية. وكل هذه القيم مررت من طرف ثقافة هداة، من رموز الأمة وصلحاءها والفتاحين والتجار المروجين لدينهم قبل سلعهم.

ومرت الأيام كأبهي ما تكون في نشر الدعوة، عن طريق الصحابة الكرام والتابعين وتابع التابعين والفقهاء والأئمة، إلى أن عصفت ريح التفرقة بالأمة على أيدي أعدائها من الدخلاء والمنافقين، أصحاب الأغراض الدنيئة والتخريبية. ففتشى وباء الفتنة، في الصفوف المسلمة، على يد بعض اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ظاهرا لخبثهم ليكيدوا له باطنا، من غير أن يؤبّه لهم، أمثال عبد الله بن سبأ الذي كان له الدور الأعظم في الإيقاع بين الطوائف آنذاك.

?ففي غفلة من الزمن، وفي سكرة من بحبوحة الحياة الرغيدة، أرسل إبليس اللعين جنوده ليُمزق نسيج الأمة المترابطة، ونفخ كبره في روع بعض شيعة سيدنا علي رضي الله عنه، فخرجوا عليه بعد حادث التحكيم، وفي معركة صفين، اعتقادا منهم أنهم أكثر غيرة على الدين وأرجح عقلا من علي رضي الله عنه الذي قبل التحكيم وتنازل عن حقه لمعاوية وأعوانه، ناسين أنها كانت خدعة من الخصم وتشجيعا منهم أنفسهم له رضي الله عنه.

قامت الدنيا ولم تقعد، وتفرق المسلمون كما لم يتفرقوا من قبل، واختلط الحابل بالنابل والصالح بالطالح، وما هو الله تعالى وما هو لقيصر. وتكلم الخاص والعام آنذاك في الأمور المصيرية فتكهربت الأجواء الأخوية واحتقنت العلاقات الودية، وسالت على إثر ذلك الدماء الزكية، في ساحة الغدر، بسيوف التعصب والقبلية والأنانية وسوء الظن بالآخر: فظن الخوارج حين خرجوا عن علي رضي الله عنه، أنهم على حق، وأن سيوفهم هي أقلام الحق تُسطر بمداد الدم تاريخا جديدا للأمة! وامتد الخلاف والشنآن والتطاحن بين الخوارج والشيعية إلى اليوم، وجروا معهم إلى الفتنة فرقا سنية، تفاوتت في المرونة الدينية.

ففكر الخوارج ظل يرمز إلى مفارقة الجماعة والخروج عن طاعة أولي الأمر. كما

أصبح عنوانا للتكفير وللتفجير وإدانة الأمة جمعاء، حتى أقبر مسيرة طويلة من التضحية والإصلاح وعاد بالمسلم إلى حضيرة الجاهلية الهمجية وإلى الفكر المتعصب والمدمر.

ونتجت عن هذه السلبيات سلبيات أفضع وأفحش وأغرب، كمقاومة وكرثة فعل، ثارا لفكرة التشيع! فعرف الإسلام فكرا غريبا يتمسح في آل البيت عليهم السلام، وهم منه براء. لأن التشيع الحقيقي هو انتماء لعلي رضي الله عنه وأتباعه في السماحة والحلم وإقامة دولة الحق، لا الاعتكاف على السلبية والعودة بالدين إلى الجاهلية الهمجية التي تلطم الخدود وتشق الجيوب وتستأجر من يتقن في النياحة والتباكي والتأسي. مضيفين لذلك جاهلية جديدة تتمثل في جلد الذات بالضرب بالسلاسل الحديدية وإيلام الجسد بطريقة وحشية دموية فضيعة، فتحت على الإسلام أبوابا من النقد والتجريح وأدخلته قفص الاتهام.

?وبين هذا الزخم من الضجيج والفوضى وسوء الذوق، ظهرت فئة سلفية تدعي السنة، ونحسبها على خير، إلا أنها تطرفت في فكرها وأصدرت حكما عاما وغير منصف على الكل، من غير تمييز ما هو شاد وما هو طبيعي وفطري.

هنا وقع الظلم على الفئة الصوفية السنية التي أرادت العودة بالفكر الديني إلى أصله ومنبعه، وتطعيمه ضد الانفلات الأخلاقي برده إلى مقام الإحسان والمراقبة. وفي هذا الخضم من التناقضات ضاع المسلم العادي وتشتت أفكاره، بين آراء هؤلاء وأولئك:

• فمتى نعود إلى صورة المسلم الكامل، الذي له عقيدة سليمة من الشوائب ومن ترسبات الجاهلية وله معاملات إنسانية راقية، مع نفسه ومحيطه الداخلي والخارجي، ومع فصيلة البشر جمعاء!؟

• ومتى تنتبه فرقة الشيعة المغالية في حب آل البيت، من غفلتها، وتنته عن الإساءة لمرجعيتها الدينية وللإسلام ككل: فالإسلام نهى نهيا صريحا عن التطير والشؤم والحداد والنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود، وتعذيب النفس والجسد، والمبالغة في التوسل بالصالحين وفي زيارتهم، لأن ذلك يضر بالزيارة وبالتوسل المشروعين ويحرم بالتالي المسلمين من بعض السلوكيات البريئة التي تبعث السعادة والسكينة في أنفسهم.

• ومتى تعود الفئة التي تدعي السنة إلى وعيها ورشدها، لتفرق بين ما هو سني وما هو بدعي وكفري، حتى لا تظلم بعض المسلمين ممن أرادوا تجديد القيم وتوطين المسلم وإعادة الصلة بالله مع تحسين علاقة الخلق بالخالق!

• أملنا كبير في العودة بصدق إلى روح الدين وإلى التسامح الحقيقي وتقبل الآخر، مادام القلب متعلقا بالله والسلوك لا يتنافى مع المبدأ ومع العقيدة والشريعة، وما ذلك على الله بعزيز.

مختلف الأعمال الت أنزلتها
المفكرة العربية على موقع الطريقة التجانية
www.tidjania.fr

أختكم في الله السيدة زينب أبو عقيل الحسنية،
نجلة العلامة والشيخ البعقلي التجاني رضي الله عنه

الحج جهاد ومراقبة

الحج وعلاقته بالمجاهدة والمراقبة وبمقام الإحسان الذي وقف على بابهِ الربانيون وأفنوا فيه أعمارهم.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

وبعد،

ليس بغريب أن يكون الحج هو آخر أركان الدين الحنيف، لأنه خلاصة جامعة لكل الفرائض، ولقاء عيني مع الأحداث التاريخية. كل ذلك في إطار بديع من القيم ومن المقامات العالية كالتقوى والصبر والرضا والحلم والتواضع والتسامح والإيثار ونكران الذات.

فعلى الأرض المقدسة وفيه يحصل الأمن والأمان والاصطلاح مع النفس لرجوعها عن غيرها وعن تيهها. وفيه يتعانق الحاضر مع الماضي في حميمية منقطعة النظير، إذ تلتقي البداية بالنهاية على عتبة التاريخ الروحي للبشرية. فالحج، رغم أنه ملخص في كلمة وجيزة وصغيرة الحجم وخفيفة على اللسان، إلا أن أهدافه النبيلة لا تسعها المجلدات العريضة: يكفي أنه المؤتمر العالمي السنوي الوحيد الذي يقوم على المحبة والوفاء، ويُدعى له الصغير والكبير والفقير قبل الغني والبعيد قبل القريب، إذ لا فرق بين البشر سوى بالتقوى التي هي المؤشر الحقيقي للإخلاص. ويكفي أيضا، وقبل كل شيء، أنه المؤتمر الوحيد الذي يدعو له الخالق جل وعلا ويُشرف عليه إشرافا توفيقيا ويجزي فيه على النية قبل العمل، لأن الأقدام السائرة إلى أرض المناسك هي أقدام لا تسير على الأرض كغيرها، بل تطير بأجنحة النية السليمة وبمحرك الإيمان الصادق.

والحج منذ أن نادى إليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الناس، (بأمر من الخالق سبحانه وتعالى) وهو يؤدي مهمته التعبدية والتواصلية بين الإخوان الموحدين في كل مكان، مكسرا قيود المسافات ومتخطيا الحدود الجغرافية، وكان المؤمن مجدوب لا شعوريا إلى نقطة لقاء التوحيد حيث الرب الواحد والمنهج الواحد والقبلة والغاية الواحدة، وكأنه مجدوب أيضا توفيقا من الله إلى نقطة القياس

الإيماني، و"ترمومتر" الإخلاص.
والحج بشهادة من العدو قبل الصديق هو أنجح مؤتمر سنوي للوحدة: ولكن، أين التطبيق الصحيح والمشاركة الصادقة والهادفة التي تعرف كيف تجعل من هذا اللقاء لقاءً وئامًا واتفاقًا، حيث نُحلُّ على منصته مشاكل الأمة المسلمة التي تبحث ويا للأسف في غيره وعلى منصاتٍ دولية غير منصفة عن حل لمشاكلها! فإذا ما بقيت الأمة كذلك تنتظر الشفقة من خصومها، فلن ينالها من موائدهم سوى الفئات والبقايا، إن لم تكن النفايات والمخلفات.
وبالتالي، فالأولى أن نجعل من هذا الموسم الديني مؤتمرًا ناجحًا إيمانياً وحياتياً، لأنه اعتصام عام لطلب المغفرة وإعادة لبرمجة النفس بالوقوف أمام الذات بكل مصداقية وشفافية، ودون أية مراوغة أو تسرُّر.
ولتحقيق ذلك لا بد وأن نشعر بالانتماء الإسلامي في هذه السياحة الروحية المحددة زماناً ومكاناً .

فحسب مكة أنها المدينة الوحيدة المنزوعة السلاح عالمياً، الأمانة بأمر ربها. وهي المدينة الوحيدة التي لا تطؤها أقدام غير الموحدين. وكل بقعة فيها تحكي أحداث التاريخ البشري وتروي قصة صراع الخير والشر: فهنا حجر نُقبله، لحكمة ربانية ولطاقته الإيجابية (الحجر الأسود)، وهناك حجر نرميه بحجر آخر، لتبديد سلبياته، إذ نرجم إبليس من خلاله (الجمار). وهنا نجتمع، نبين ونتهجد، في نقطة الانطلاق (مئى)، وهناك نقف وندعو ونتضرع (عرفة)، وهنا نسعى وهناك نطوف. وهنا حرمٌ وهناك حلٌّ... والمناسك كثيرة ومختلفة وذات أبعاد ومعاني نبيلة. والأوقات تتأرجح بين الحركة والسكون وبين الحل والترحال، وبين باقة من الصلاة والذكر والدعاء والفرائض والواجبات، وبين كل أنواع القربات: معزوفة رائعة من التناغم الروحي والانسجام الوجداني.

كانت هذه الأرض الأمانة كتاباً مفتوحاً، ضم إلى جانب الآثار الإبراهيمية الحنيفة الآثار المحمدية الشريفة، وسطر بأحرف من ذهب على صفحاته الوقائع المصيرية للبشرية جمعاء:

فحجة الوداع مثلاً شهدت على تمام الدين وكماله، بنزول الآية الشريفة: (اليوم أكملت لكم دينكم). الآية. وجبل الرحمة (جبل عرفة) شهد أكمل خطبة حقوقية عرفتها الإنسانية. وشعبٌ منى شئقت أسماعها الكلمات المحمدية التي قال فيها صلى الله عليه وسلم للحجيج وكأنه ينعي نفسه: " - خذوا عني مناسككم لعلي لا أحج بعد عامي هذا".

الفقير التجاني هو في "سياحة فكرية" متصلة وفي "مراقبة دائمة":
فالتجاني مسلم كامل صافي النية وهو بحكم التزامه رجل مواظب على الطاعات ومستوعب لروح العبادات وعابد مخلص في رحاب القيم: دائم التفكير والتدبر (وإن

كان هناك بعضُ الفتنور الطبيعي الذي ينتابه في حالة الغفلة، لكن سرعان ما يزول بالاستدراك) وبالتالي فهو في مجاهدة نفسية دائمة وفي رحلة مع الصبر والمصابرة، لأنه يستشعر اسم الرقيب في حياته. يعيش له ويتحرك به: فكل صلواته طواف لاستحضاره صورة الكعبة كنقطة الالتقاء. وكل أيامه يوم عرفة لأنه يستحضر "المعية الإلهية" وينتظر المنح الربانية، بين تدلل وتضرع وانكسار، وبين خوف ورجاء.

فعبادته لله إلى جانب أنها حركية، فإنها عبادة قلبية خالصة تُنقي مسارات الطاقة لديه وتعيد لذاته التوازن الجسماني والروحي وتنسج بالانسجام خيوط مشاعره. - فعار على الأمة ألا تكون كذلك، كأن تطلب العزة في غير دينها. وعار عليها أن يغيب عن فكرها الإسلامي، الجانب الوجداني والبعد التربوي من الحج، كالبعد الاجتماعي مثلاً:

فكيف نحقق أهداف الحج والغاية منه ونحن نرى على الشاشات الفضائية فضائح من الأنانية والتمييز العنصري والطبقي، إذ كل جالية لوحدها، وكل طبقة اجتماعية لوحدها: هنا مُنعمون (الأثرياء وأصحاب البعثات) على أرائك متقابلين، في بحبوحة من العيش والتكليف، وهناك على الأرصفة المجاورة أجسادٌ قد أنهكتها التعب تحتمي من لهيب الشمس بضلال الحافلات أو الشاحنات، تتقاذفهم الأقدام في عبثٍ غير مقصود، وفي جوٍّ من الضوضاء والازدحام!!

فأين نحن من التراحم والمساواة ومن العدالة الاجتماعية، التي ينص عليها الدين، ويؤكد عليها في موسم الحج؟! فالمرجو أخذ أهداف الحج بعين الاعتبار وجعل حياتنا ظاهرها وباطنهما، مع الله والله وبالله. لأن الراحة لا تُدرك بالراحة، ولأن صوت الفعل أقوى من صوت الكلام.

فائدة علمية :

- تُعد مكة سُرة العالم والكعبة مركز الأرض والثقل، وأهم أثر فلكي بالعالم وأهم إجاز معماري على البسيطة: تتجه أركانها الأربعة نحو الاتجاهات الجغرافية الأربعة الأصلية. ويتجه المحور الأكبر للكعبة نحو نقطة شروق النجم الأبيض العملاق (سُهيل) (الأكثر لمعاناً بعد نجم الشُّعري اليميني). فحسب الأبحاث العلمية لبعض الأجانب (وخاصة الباحث اليميني المسلم الشهير في علم الفلك) أن الكعبة قد بُنيت بدقة متناهية، بحيث أن كل ركن فيها يقابل اتجاه ريح من الرياح الأربعة، التي تهب على مكة خلال فصول العام. وأن الطواف هو عبارة عن دخول في رنين مع نذبذبات الكون ومع تسبيح المخلوقات. وأن ماء زمزم، بالإضافة إلى أنه ماء مبارك، فإن له تركيبة كيميائية جد متميزة تجعل

شاربه في انسجام مع صورته الذهنية: وهذا يوافق ما أكده صلى الله عليه وسلم بأن زمزم لما شرب له، إذ قد يروي ويغذي ويشفي حسب نية شاربه. وأما عن رمي الجمار، فإنها بالإضافة إلى رجم إبليس، فهي رمي للسلبات الشخصية وللعادات الخاطئة.

وأما من الناحية الدينية فالحج هو العبادة الوحيدة التي تجمع بين القدرة والصحة وتتطلب وحدة المكان والزمان والهدف.

قف أخي المسلم مع الله وقفة صادقة لإعادة حساباتك وتحديد أولوياتك. لیتنا جميعاً نفهم الغاية من العبادة فهماً صحيحاً حتى نفهم مناسكنا وشعائرنا الدينية فهماً حضارياً نتحدى به العالم.

ولیتنا نجعل كل أيامنا أيام حج وطاعة، ونتعلم خلالها كيف نُفرِّغ الشحنات السالبة، بترك الانفعالات المدمرة للخلايا والمحيطات للأعمال!!

بل لیتنا ندخل في رنين مع الموجات المغناطيسية والكهرومغناطيسية للكون، ونتفاعل مع الأشخاص والأشياء والأمكنة والأزمنة، حتى نتناغم مع تسبيح الكون، وبذلك نطرح سموم همومنا عند الطواف والسعي وعلى عتبة باب الملتزم ومقام إبراهيم أو المشعر الحرام أو على هضبات جبل الرحمة...

لیتنا نحقق أهداف الحج ونستوعب الغاية منه التي هي دعوة للصالح والمصالحة مع الآخر، ودعوة للاصطلاح مع النفس في جو جماعي مفتوح ومناخ عام للعلاج النفسي.

فلو فهمنا أن كل شوط من أشواط الطواف السبعة هو غلق لباب من أبواب جهنم، لارتحنا وأرحنا. ولو فهمنا أن المسارعة لفعل الخيرات هو فتح لأبواب الجنان، لما ترددنا عن المبادرات الإيجابية وعن التسامح.

- والحمد لله الذي جعل من رؤية الكعبة عبادة، وبت في قلوب الحجاج الشوق والحنين، للعودة إلى البقاع المقدسة. حتى أنه تعالى جعل قلوب بعض الأجانب تهفو إليها ولو عن طريق المشاهدة، بحيث أن (ملك الراب Roi du Rap) المغني والراقص الأمريكي، قد دخل في الإسلام بفضل رؤيته لمراسم الحج، وصادف ذلك دخول الباحث الأمريكي في علم الأجنة: "كيسم وور Kissm: woor" إلى الإسلام بنفس الطريقة، صحبة كوكبة من العلماء الآسيويين في

مختلف العلوم، لأنهم رأوا في الحج مصدر الوحدة والقوة والريادة الوجدانية. - إذن، بالعلم عرفوا الله، وبالعلم أمرنا أن نعرفه تعالى. والعلم صيد وكتابته قيد والخوض فيه فيض والعمل به فرض.

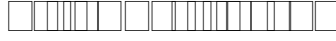
- فالحق تعالى يؤكد في سورة النجم على: - أن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى. صدق الله العظيم.

- فسلح المؤمن هو العلم، - والعلم نور ونور الله لا يهديه لعاصي."

- فارتق أخي إلى الحقيقة بالإشارات الكونية واستأنسُ بها، دون أن تُخرجك عن الوظيفة المنوطة بك، و عما خُلقت له. واحفظ طاقتك من السلبيات تسعدُ وتُسعدُ غيرك. وتعلم من موسم الحج بقانون الحلم والعفو والإيثار والتواضع والصبر والمصابرة في ظل مجاهدة ومراقبة دائمة. وصدق الله العظيم الذي قال في آخر سورة العنكبوت: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين). الآية 69.

أختكم في الله وفي المشرب نجلة الشيخ البعقلي رضي الله عنه

السيدة زينب أبو عقيل



والأمية الدينية وممن حجبهم المعاصرة
على مناصرتكم.

إنكم سيدي فوق الشبهات، وإن أسلافكم الكرام هم من مصابيح الهدى وزواياهم من منارات الهداية والفلاح، فلا يهتمكم سيدي من اختلف معكم إذ ثقافة الاختلاف واردة وظاهرة حضارية. كما لا يضيركم من عارضكم، عنادا أو حسدا، لحدّ التناول على مقام أسلافكم الميامين، بسلاطة اللسان ووقاحة القلم: فإن كل إناء بما فيه يرشح، ولا يستطيع اللسان إخفاء ما يرد على القلب.

فكما أنكم سيدي مجندون للتصدي للأباطيل، فإنكم مدعوون للتنوير، حتى لمن أراد جلب المعلومات الجاهزة، نظرا لضيق وقته أو لقلة حيلته...

إنكم سيدي قد برزتم في هذا الوقت بالذات، لحكمة ربانية وحتى يقضي الله أمرا كان مفعولا. فننصّبكم للمشيخة كان بالمشيئة الربانية التي جرت على يد سليل الدوحة العلوية (الملك محمد السادس نصره الله)

وبما أن العبد ميسر لما خلق له، فقد خلقتكم سيدي، لهذه المهمة الصعبة في هذه الحقبة الحرجة ومع أقوام يتشدقون بالمعرفة ناسين أن الكمال لله تعالى وحده وأن من قد علم شيئا فلا بد أن تغيب عن ذهنه أشياء لقصور العقل البشري.

- نقول سيدي لمن أراد مزيدا من المعرفة والتبحر في العلوم والحقائق، أن لا بد له من مفاتيح النجاح: التواضع والحلم والإصغاء والتدبر، ووزن كلام العارفين بميزان الشرع لأنهم يتبرؤون مما ينسب إليهم من الافتراءات .

- فلقد أخذتم على عاتقكم مسؤولية الأمانة العلمية، لبيان الحق من الباطل وإزالة غبار الجهل والتجاهل

- فللحق والباطل رجالات إلا أن رجالات الباطل كثر لأن إبليس يعرف كيف يسوق لسلخته وكيف يُغري جنوده وعُلماءه .

- فمؤسس الطريقة التجانية سيدي أحمد رضي الله عنه كان يُريد على مسامح أتباعه العبارات التالية: " - ما بلغكم عني فزوه بميزان الشرع، فإن وافقه، فذاك وإلا فأنا بريء منه. " انتهى .

- وأما أشهر أعلام هذا العصر، الشيخ العلامة البعقلي يقول عن طريقة شيخه الكامل رضي الله عنه بأنها طريقة الورع والتقوى لقوله تعالى: " واتقوا الله ويعلمكم الله .."

- فالعلم وحده لا يكفي بل لا بد له من العمل به إذ العلم والعمل به، هما أساس محاربة الأباطيل بالحجة والبرهان .

- ويقول لمن يريد خلق البلبلة في المغرب بإثارة الناس على المشرب التجاني بالتحديد، أمثال "الفقيه الحجوي" (وزير المعارف المغربية آنذاك) والذي سبق وأن ارتدَّ عن التجانية، بإغواء من "ابن باديس" (السلفي الجزائري المتشدد) الذي وضع "التصوف السني" في نفس الخانة مع المجاديب و"أدعياء التصوف" ومع المتطرفين .

- قال له: " - فالمغرب ينتسب إلى الأشراف العلويين، فلا تثرُ في المغرب فتنا... " (الصفحة 35 من كتابة: "ترياق لمن فسد قلبه ومزاجه")

وجاء عنه في كتاب "الأجوبة البعقلية"، مجيباً من سأله عن أصل طريقة شيخه التجاني رضي الله عنه : " -... طريقة سيدي أحمد ليست في القرآن! (عبارة السائل) فقلتُ: أعوذ بالله أن نعبد الله بما ليس في القرآن. فقال: فأين هي طريقة سيدي أحمد في القرآن؟ فقلتُ: "اهدنا الصراط المستقيم" (مذكورة أربعين مرة...) وسأل المولى سليمان العلماء يوماً ما يقولون في سيدي أحمد التجاني فقالوا: فأما علم الظاهر فلا يضاهيه فيه أحد فقال السلطان: وأما علم الباطن فهو أبوه وأمه... " انتهى.

وجاء في خاتمة الترياق ما يلي: " - فنشهد الله وملائكته أننا معشر التجانيين، تمسكنا بمذهب الرسول صل الله عليه وسلم وأصحابه والأئمة الأربعة، على عقيدة الإمام "الحسن الأشعري" في كل ما استحسنته... ونشهد أن من تكلم في الطعن في الأولياء قاطبة لم يتمسك بسنة ولا بطريقة" انتهى ص: 64.

وأخيراً نقول لكم سيدي محمد الكبير ما قاله والدنا البعقلي لسيدي محمد الحبيب بن سيدي محمود التجاني، في إحدى مراسلاته، حيث أجازها فيها قائلاً:

...- "فنحن لكم كالأم والأب... والطريقة لا تبقى إلا بالعلم وإلا تهدمت أركانها بظلام الجهالات عليكم". انتهى (من كتابه "سوق الأسرار" ص: 119. بعث بالرسالة في شوال 1362هـ)

دحض الافتراءات

الدفاع عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه بالتصدي لافتراءات وبهتان ما جاء في الترجمانة الكبرى للمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياتي.

إخواني المحبين، التواقين للمعرفة، إن إحياء ذكرى الأعلام، لا يكون بالتجمع والمسامرة فقط، بل كذلك بإحياء مناقبهم والتعريف بآثارهم أقوالا وأفعالا وأحوالا، وبرفع الظلم عنهم والتصدي لمن عداهم وأثار الرأي العام ضدهم، إفكا وبهتاناً وتطاولاً.

فالعلم منهم يُعد أمة لوحده، لأن الذي ينظر بنور الله ولا يغيب عنه حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم، هو في مشاهدة دائمة ويستطيع إحياء الشريعة لوحده، وإن تعطلت المذاهب كلها !

- الإنصاف لا يتأتى إلا بالموازنة، والاعتتراف لا يزول إلا بالاعتراف:

إن هدف الغيورين على الدين وحماته، هو الدفاع عن الدالين على الله الواصلين إليه بالسبل المشروعة، علما وحلما وذوقا وأدبا. ولا يكون الدفاع إيجابيا إلا بالبيئة والبرهان القاطع مع مراعاة الأدب وعدم الوقاحة في التعبير. وبالتالي فإن جنود الفكر وأقلام الحق لا بد وأن توظف لتضميد جراح الأمة، وستر عيوبها وعوراتها، وإصلاح ذات بينها، والتقريب بين أفرادها، حتى يوقف النزيف ويُسدَّ الخلل، ذرءا للمفاسد.

ولعل هذا البحث المتواضع يكون هدية صدق، لصاحب هذه الذكرى العطرة، وهذا المقام الكريم، في عيد إحياء القلوب وتجديد العهد على الاستقامة وطاعة أولي الأمر وأطباء القلوب. ولعله يكون أيضا بصمة إخلاص وتوقيع محبة في سجل الولاء، حتى وإن كان الجهد من مُقَلِّ ونقطة في بحر. فيكفينا شرف المحاولة ويكفي أرض فاس زهوا وتيها على المدائن أن صيرت ثراها مداسا طيبا لصاحب الوقت والزمان رضي الله عنه، الذي دارت على رجاه كوكبة الأولياء، وسبحت في فضائه نجوم الهداية من النقا، وسقت زخات غيث أفكاره الندية قلوب العاشقين، ونشفت بوارق أنواره وأساراه حنايا الواجدين من السالكين.

ولعل هذه الكلمات التي أبت إلا أن تتدفق من ينابيع الصدق والوجد، تكون نسمة هداية ورشاد، تمسح على قلب كل من ضل أو أضل عن جهل أو عن لا مبالاة، أو تكون رمادا حارا يلقي في العيون الوقحة المُغرضة، أو تكون طلاقات متلاحقة تخرق صدور الأشرار من المحرضين الذين يغتالون الفطرة والبراءة والسماحة

بيد الغدر والخيانة والتواطؤ.

وبما أن التصدي لحملة التلبيس على الأمة والتشكيك في العقيدة يُعد واجبا دينيا وقوميا، فإن التخلي عنه يُعد خيانة جماعية وعقوقا اجتماعيا، لا علاج له إلا الإقصاء والقطيعة، لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه، وله رجالته وجنوده ولا تسحقه حوافر خيول الباطل وإن بدا لنا العكس.

قال سيدي محمد بن أحمد أكنسوس التجاني الذي عاصر الفتنة التي نحن بصددتها: "...-إننا، والحمد لله، وإن فاتنا اصطحاب أئمتنا الهداة الذين هم للخلق رحمة، ونعمة مسداة، فما فاتنا الاطلاع على سنى أحوالهم ولا الاضطلاع عن نير أقوالهم، وذلك قائم مقام وجودهم، ومُغني الطالب للهدى عن حضورهم وشهودهم...". انتهى. (من كتاب "الحلل الزنجفورية للإجابة عن الأسئلة الطيفورية": صفحة: 3). وقال الشيخ البعقلي تقديرا لمقام شيخه التجاني رضي الله عنه: "- فالشيخ لا مسافة بيننا وبينه، لا زمانا ولا مكانا... وإن ما نسبه لنفسه وطريقته ولأهلها ما زاد فيه حرفا واحدا عنه صلى الله عليه وسلم...". انتهى. (من كتاب "الأجوبة البعقلية" لأمين الفطواكي).

مؤرخون هجاؤون غلبت عليهم الذاتية، فأدانتهم زلة قلمهم : إن من سخرية الأقدار أن ينقلب المسلم على أخيه وينهش في لحمه ويعريه على مرأى من الناس. ومن دهاء إبليس أن يلعب بأفكار العلماء وينفخ في روعهم الكبر والعُجب والاستعلاء، مما يحجبهم عن رؤية الصالحين بعدم التمييز بين الصالح والطالح .

ومن المؤسف له، أن يجرد المؤرخون المسلمون سهام أقلامهم من أغمادها ويضعونها سيوفا على رقاب الأبرياء ونحور الربانيين، غير أبهين لتحذير الخالق من الطعن فيهم، وبالحراب على من عاداهم وتعرض لهم ! فأين مؤرخونا من الموضوعية ومن الإنصاف والمصداقية؟! بل أين هم من مسؤولية الأمانة العلمية ومن بطولة الكلمة وخطورتها؟! وبالتالي، فأين هم من القلم النظيف واللسان اللطيف والقلب العفيف، إنها مبادئ ضاعت في برصة القيم، وفي مزاد علني لا يرحم !

هذا، ولقد ورط قلم المؤرخ بالقاسم الزياني (إبان القرن 12 هـ/ 18 م) صاحبه في أحوال الخوض في الأعراض وفي سوق المتاجرة بالعورات، تجريحا وتسفيها وتفسيقا. إنه لم يدخر جهدا ولا معرّة إلا أتى بها لتلطّيح سمعة قطب زمانه سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ولكنه نسي بفعلة هاته الدنيئة، أنه لطّخ سمعته كمفكر وعالم بقضايا مجتمعه، وقلل من شأن "ترجمانته الكبرى" إذ لطّخها بوصمة عار أكبر بتطاوله الفاضح على صفحاتها على شيخ طريقة ومرابي ذي شأن. وما ذلك إلا لأنه يغبطه على مكانته العالية عند ولي نعمته المولى سليمان،

ولأنه كان على ود مع خصومه من بعض القادريين ومع حاكم وهران ومع الأتراك، الذين لا يطيقون الشيخ ولا أتباعه، لأنهم وقفوا لهم شوكة في الحلق وتربصوا بهم عند الحدود، وتصدوا لهم في قعر دارهم، حيث تماثيل. "مصطفى أتاترك"

لقد كان فرح المغاربة كبيرا بكتاب الترجمانة الذي جمع فيه صاحبه رحلات السابقين واللاحقين وبعض الإضافات، ولكن سرعان ما انفطرت قلوب محبي الشيخ وأتباعه لما احتوى عليه الكتاب من تنقيص وإهانة لجنابه الشريف. فاللسان إذن يعجز عن ترديد ما كُتبت من بهتان، والقلم يستحيي مداده من خط سطور البذاءة والتطاول. ولكن، احتراما للأمانة العلمية، وصددا للواقع، فلا يسعني إلا أن أخص ما قيل في عجالة مقصودة لدرء مرارة الحرقة واحتراما لروح الشيخ رضي الله عنه: لقد نعت الزياني بالخسة، وبالنفاق والمداهنة وشبهه "بالسامري" الذي أضل قومه بصناعة وعبادة العجل، راميا وراءه تعاليم النبي موسى؟، كما شبه الأتباع التجانيين بالأشرار وبالأمعة، واتهم الشيخ بالاحتيال على مشاعر السلطان المولى سليمان، تبريرا لحب هذا الأخير له وتقريبه منه في حياته رضي الله عنه، واتهمه أيضا بالتظاهر بالصلاح والورع لكسب ثقته وتأييده في مهمته الدينية. ولم أدر كيف غاب عن ذهن المؤرخ قول الشاعر:

ما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن فنيت يده
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ولأمثاله قال سيدي إبراهيم الرياحي التونسي منذرا المعارضين:

لا تجادل في الأولياء وسلم قبل توتير ذي قوس رام
بشر الخائضين فيهم بحرب من قوي في بطشه ذي انتقام

رأي أديب نزيه فيما آل إليه بعض المؤرخين من الوضاعة: جاء في كتاب: "الشيخ البعقلي. فصول دراسية في سيرته..." للأستاذ أحمد باكو، دفاعا عن هذا الشيخ البعقلي التجاني، حين طعنه في وطنيته، المؤرخ الرباطي، عبد الله بن عباس الجراري، الذي اغتيل سنة 1983م، وذلك في كتابه: "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين" لتعارضه رضي الله عنه مع أفكاره السلفية، ولما دار من حوار بينهما عندما كان المؤرخ مفتشا للتعليم بالمغرب. جاء قول الأديب الغيور كالتالي تحت عنوان ذكي: "خيانة تذكر بسابقتها" قال: "إنه بهت وإفك لا نجد له مثلا إلا فيما صنعه قبله مؤرخ آخر، هو أبو القاسم الزياني

المتوفى سنة 1249هـ/1809م، في كتابه "الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور
برا وبحرا"، حيث حطب كل المثالب والنقائص التي يمكن أن تخطر على بال
مريض بإيذاء الناس، وقذف بها الطريقة الأحمدية وجناب صاحبها عليه رضوان
الله. فكتب ما كتب. وبئس ما كتب" (صفحة 16).

وأضاف قائلا تحت عنوان آخر: مؤرخون هجأون: "... وفي التاريخ أمثلة
كثيرة لمؤرخين اكتسبوا أخلاق الشعراء الهجائين، الساعين وراء العيوب يكشفونها
أو يفترونها إن لم تكن. ومن ذلك مثلا ما فعله المؤرخ "محمد بن عبد الرحمن
السخاوي" بالعلامة "جلال الدين السيوطي" وغيره ممن ترجم له في كتابه:
"الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع..." ويضيف الأديب باكو قائلا: "واشتهر
بهذه المذمة أيضا من المؤرخين السوسيين، صاحب "روضة الأفنان في وفيات
الأعيان"، محمد ابن أحمد الأكراري الذي أبى إلا أن يجعل من بعض تراجيمه
(مقامات هجائية) لا أدب فيها ولا علم." (صفحة 97 من كتاب الأستاذ أحمد باكو).
أجل، فإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن التاريخ قد فقد مصداقيته ككل
شيء في هذه الحياة الباهتة الملامح. فكُتِب التاريخ أصبحت عبارة عن سير ذاتية
لأصحابها وتزكية لهم وترويجا لأفكارهم، ومجزرة علنية لغيرهم ممن خالفهم
الرأي، فتحولت أدراج التاريخ وخزاناته إلى قمامات لنفايات الأفكار المستهجنة،
وتحولت الكلمات إلى رشاشات والألفاظ إلى براكين تقذف حمم الحقد والبغض،
تحرق الأحلام البريئة والفطرة النقية.
كل إناء بما فيه يرشح:

إن دواعي هذا الحقد من طرف الزياني، نابع ولا شك من أعماق شخصيته،
باعتراف منه شخصيا في "ترجمانته"، إذ نراه يتغنى بذاتيته واستعلائه كأن ذلك
مفخرة لا معرّة، حتى أنه أطلق على نفسه لقب "هدهد سليمان"، وأطلق على
ترجمانته "النبأ اليقين" الذي أتى به من "ملكة بلقيس" فأفرح به سليمان لما فيه
إعلاء للدين، وإخراج الناس من الضلال، وتبرير لغيابه عن مجلس الملك (وهذا
حين أهدى ترجمانته إلى "الملك سليمان" وبعث له رسالة يزكي فيها نفسه بهذه
الطريقة). وأكد على تطلعه للمناصب والشهرة لحد الغبطة المرضية التي سمحت
له بحسد بعض أقرانه على ما وصلوا إليه من المناصب. فحين أبعد صديقه "سعيد
الجزولي"، صاحب الباع في التاريخ والأنساب، عن مجلس "المولى محمد بن عبد
الله" الملك العادل، تولى منصبه دون أية مرارة قائلا في شماتة زهو: "فلما خلا
من ذلك المشوار، صرتُ أعمل عمله، وكلما تكلم أمير المؤمنين في خبر أو نسب،
أتقدم وأتكلم فيما أعلمه وما لم أعلمه. فتكلمتُ يوما، فقال لي (الأمير): من أين لك
هذا الخبر الذي لا أصل له؟! فقال قاضي شفشاون وكان جريئا: هذا ما انفرد به
وحده..." (الصفحة 63 من "الترجمانة الكبرى").

فهذا الاعتراف الصريح يدل على استعلائه وشماتته واستغلاله للمواقف، ويدل أيضا على خلافه الدائم مع علماء عصره، فقهاء كانوا أو صوفية أو قضاة، إذ كان يعبر بافتخار عن اشمزازة من أفكار أحد شيوخه وبالتعالى في مجلس كبار المشايخ لحد انقطاعه عنه. كما كان يحتقر بعض علماء وقته وينعتهم بالسقط. أما حواراته الفكرية فكانت قنابل موقوتة وبراكين من التشنجات والانفعالات، مما دفع بشيخه سيدي عمر الفاسي أن قال: " - أرنا شيئا مما تعلمه ولا نعلمه، فأجاب: لم يتهيأ لي عمل الآن ولا يحضرني شيء... " انتهى .

فهذا الهروب من المواجهة استوحاه من طبيعة المتنبى، كما استوحى منه عدة خصال، كالتملق لبلوغ مآربه، إذ المتنبى كان عبقرىا في كل شيء، في ذكائه ودهائه، وفي مدحه وهجائه، وفي حبه وكراهيته، لأنه كان يكيّل بمكيالين وذلك واضح في تصرفه مع أبي فراس الحمداني ومع كفور الإخشيدي (ملك مصر). فكان يتلطف في العتاب مع الأول ويكيّل الضربات لولي نعمته إذا ما حرّمه العطاء. كما كان تواقا للمناصب ولو على حساب كرامته، فاستشهد بذلك الزياتي في "ترجمانته" بأبيات المتنبى منشدا:

لباب الملوك كن لازما ولا تخش ممن بغض أو حسد
فإن الذئب تُهاب إذا تمرغ يومُ ببابِ الأسد

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) صدق الله العظيم:
لقد اتهم الزياتي الشيخ رضي الله عنه بالاستعلاء على الأولياء والمشايخ، وعدم زيارتهم وعدم الالتفات إليهم، واتهمه بادعاء رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، والأخذ عنه وإهدائه جوهرة الكمال، واستكثر عليه الضمانات والامتيازات التي اختصه بها وبمشربه.

كل هذا صحيح من جهة وباطل من جهة، بحسب صدق النية أو عدم صدقها في وضع السؤال وإثارة الاستنكار، (والواضح أن أسئلة الزياتي كلها اتهامات وإنكار وإدانة)

1. فأما عن مقامه رضي الله عنه، فلا يعرفه إلا من عاين المقامات والأحوال، وكابد العشق والهيام، من الفحول والخبراء بروح الشريعة.

فحين كان رضي الله عنه في أول طريقه باحثا عن الحقيقة وعن القطبانية الكبرى، صادف الأخيار من الكمل كالشيخ محمود الكردي والشيخ السمان والشيخ الهندي، ولكنه لم يأخذ عنهم بصفة قطعية، لأنه كان مهيا لما هو أكمل، بالأخذ عن شيخه المباشر صلوات الله عليه وسلامه، وهذا كان معلوما لأشياخه، إذ قال له محمود الكردي حين زاره بالديار المصرية: " - أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة... " وأخبره الشيخ الوانجلي بعلو المقام قائلا: " - إنك ستدرك مقام الشاذلي. " وأما

الشيخ الهندي صاحب الخلوات المستمرة، فقال له عن طريق خادمه الذي يحرس خلوته: " أنت وارث علمي وأسراري ومواهبي وأنواري " فدهش الخادم الذي كان يطمع في تلك المرتبة من هذه الأفضلية التي اختص بها هذا الغريب، فردعه شيخه قائلاً: " لا أترجى إلا هو. وهذا ليس لأحد فيه اختيار، يختص الله برحمته من يشاء. ولو كان الاختيار لي لنفعت بذلك ولدي قبلك منذ زمان... " انتهى.
(الصفحة 24 و 25 من "جواهر المعاني").

إذن، فالملاحظ أن الأفضلية هنا هي أفضلية روحية، لا علاقة لها بالقرابة الترابية ولا بقرابة الدم والنسب: " - فمن كان وصوله وفتحته على يديه صلى الله عليه وسلم، كان مقامه أعلى وأجل وأرفع كما هو معلوم عند أهل الطريق، وكان أصحابه أعظم قدرا، في الغالب من أصحاب غيره من الأشياخ؟ " (الصفحة 26 من "جواهر المعاني").

وفي نفس الكتاب، جاء ما يلي: " - الشيخ رضي الله عنه جمع بين لطائف الأحوال وصحيح الأقوال والأفعال. باطنه حقائق التوحيد، وظاهره زهد وتجريد، وكلامه هداية لكل مرید " (الصفحة 41).

فبالحب وصل هذا القطب المكتوم إلى هذه المقامات، حتى قيل عنه رضي الله عنه:

وَأَثَرَ حُبِّ اللَّهِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ عَجَائِبُ أَسْرَارِ ثَوَابِهَا عَلَى الْحَبِّ
فَمَنْ كَانَ فِي دَعْوَى الْمَحَبَّةِ صَادِقًا تَجَلَّتْ لَهُ الْأَنْوَارُ مِنْ غَيْرِ حُجُبٍ

2. وأما عن الاتهامات الأخرى، فليس هناك أفضل إجابة من كلام الله وكلام نبيه وكلام أصفياه:

فَعَنِ التَّقْوَى وَالِاسْتِقَامَةِ وَالْوَرَعِ وَالْمَسَارَعَةِ لِفَعْلِ الْخَيْرَاتِ وَمَا اسْتَحْسِنَ مِنَ الْقُرْبَاتِ يَنَادِي الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْحَابَ الْإِيمَانِ أَمْرًا:

(-يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا)

(-فاستقيموا إليه واستغفروه)

(-يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

(-يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) صدق الله العظيم.

فالذكر الكثير مطالب به كل مسلم، وهو في عُرف من بلغ مقام الإحسان فرض وواجب وأمر رباني، سرا أو جهرا، فُرَادِي أو جماعات، مثله في ذلك كالصلاة، إذ لا ينفع الجهر حيث يجب السر ولا السر حيث يجب الجهر. فحسب ابن عباس رضي الله عنه كان المصلون يعرفون انتهاء الصلاة والانصراف من المسجد

بالتكبير، ولا يكون التكبير إلا جهرا. كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفضل الجلوس إلى الذاكرين من الصباح إلى طلوع الشمس ومن العصر إلى غروبها، ويعد تلك الفضيلة نعمة لا تُقدر بمال ولا حتى بعنق الرقاب (ولا يكون الجلوس إلى الذاكرين إلا جماعة ولا يكون الذكر في الجماعة سرا). إذن، ذهب الذاكرون بكل خير فعلا، لما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه. ويؤكد ذلك ما قاله محيي الدين بن عربي: "حياة الذاكر لله عز وجل، متصلة ودائمة لا تنقطع بالموت... فهي أتم من حياة الشهيد في سبيل الله، إلا أن يكون هذا الشهيد من الذاكرين الله كثيرا. فإن له حينئذ حياتين، حياة الشهيد وحياة الذاكر." انتهى. (من الفتوحات المكية).

3. وأما عن رؤية سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقظة، فهي كرامة لا تُضاهى لقول سيدي محمد بن أحمد أكنسوس - "إن هذه الكرامة التي هي رؤية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم والاجتماع به والتلقي منه في اليقظة، لا كرامة فوقها. ولا يمكن أيها السعيد (يخاطب الطيفوري حين استنكر بعض المسائل على الشيخ في جواهره وخاصة عن ما جاء في تلقيه رضي الله عنه لجوهرة الكمال). لا يمكن بعد إقرارك بولاية هذا السيد وثبوت ذلك عندك بالدلائل الواضحة وتوفيق الله، أن تشك. إن هذه الجوهرة من كلام من لا ينطق عن الهوى. إذ لا فرق بين حياته ومماته صلى الله عليه وسلم... " انتهى. (الصفحة 88 من "الحلل الزنجفورية"). وقال الشيخ البعقلي: "وممن رآه يقظة الشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم الفناوي والشيخ موسى الزواوي والشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ أبو العباس المرسي والشيخ أبو السعود بن العشائر والشيخ سيدي إبراهيم المتبولي والشيخ جلال الدين السيوطي... " (الصفحة 25 و26 من "النفحة الربانية"). وتواضعا منه رضي الله عنه لم يذكر اسمه في هذه اللائحة التي تخفي وراءها ربانيين لا يغيب عنهم حضور نبيهم وسندهم صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك في بعض كتبه.

4. وعن طريقة الشيخ التجاني رضي الله عنه التي اتهمها الزياتي بالبدعة وبالخروج عن الشريعة والاختلاط والتنطيط والحال والرقص... فكل ذلك لا علاقة له بالتجانية بشهادة من العام والخاص وممن اطلع على مجالسهم ورأهم يحافظون على الفرائض والنوافل وكل القربات، فالتكاليف لم تسقط عنهم ولكن الذي سقط عنهم هو أعباء التكاليف، لأن طاعتهم فيها ألفة لا كلفة، ولصبرهم حلاوة لأن عرق الإنجاز لديهم مسك.

- إذن، فليعلم الزياتي الذي تطاول على الشيخ وحرّض على إقصاء أتباعه من بيوت الله والقصاص منهم إن أمكن بحجة أنهم أصحاب بدع، وليعلم كل من يرمي الكمل بالأباطل ويسيء الظن بعباد الله أنه جندٌ من جند إبليس، يساهم في تمزيق

نسيج الأمة وفي تقطيع أوصالها وزعزعة عقيدتها. وأن ما يسميه نقدا وتحليلا، إنما هو فضحٌ وهتكٌ للعورات واستباحة للحرمان ولا علاقة له بحرية التعبير وبالشعارات الحقوقية .

فالمؤرخ الحقيقي لا بد أن يحقق لعصره، لا أن يحرف الأحداث، باحترام قلمه ومكانته، لأنه أمين الأمة على ثرائها، راصدا لأحداثها، لا يجب أن يكون عدواني الطبع ولا ذاتي الرأي ولا مسيء الظن كمن قال:
لا يكن ظنك إلا سينا إن سوء الظن من أقوى الفطن
من الواضح أن ما يُنكر على أهل الله هو داخل في دائرة الإخباريات والغيبيات، لا في دائرة المحسوسات أو المعقولات، لأن الحقائق غريبة عن أهل الدنيا وهي أقرب إلى عالم البرزخ منها إلى عالم الواقع، ولأن أهل الظاهر بعيدون عن إدراك الحقائق، حتى نصح الشيخ زروق مردييه قائلا: " - عظموهم ولا تُخالطوهم، لأن نفوسهم غالبية عليهم، ولأنهم حصروا معلوماتهم في حيز العقل فقط. " انتهى.
فالأولياء إذن تظهر عليهم علوم بلا تعلم، من لدن العليم الوهاب الفاعل لما يريد، متى يريد وكيف يريد، وقد قال الشيخ ابن عربي: " - كلما نزل الولي مقاما منها (من الولاية)، يُخلع عليه من العلوم ما لا يُحصى. ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره) " .صفحة 73 من "الفتوحات المكية".

وهذا كان يعلمه حتى أكابر الفقهاء ممن رُفعت عنهم الحُجُب، حتى نصح بعضهم ولده بمصاحبة الصوفية لأنهم أصفى روجا وأشرق عقلا، وأكد ذلك سفيان الثوري، التابعي الجليل قائلا: " - لولا أبو هشام الصوفي ما عرفتُ دقيق الرياء. " وقال الشيخ البعقلي: " - فالأولياء أبوابُ الله مفتوحةٌ على يد صاحب الفتح، مهياة لمن أَراده الله وعلمه وأقدره. فهم أبوابُ حضرة الله تعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأفضل ما يتعبد به المتعبدون، التحبب إلى أوليائه. وعلامة محبة الله محبة أوليائه. ومحبتهم كرامة وولاية، وصُحبتهم قرابة، وخدمتهم شفاعة، والجلوس معهم رحمة، والصلاة معهم مغفرة، والإخبارُ عنهم نصيحة، والدلالة عليهم إيمان وبركة، والأخذ عنهم هداية، واتباعهم شريعة... " (الصفحة 3 من كتاب "التربية في الطريقة التجانية"). لصاحبه أمين الفطواكي الذي لم ينس ضمَّ هذه الفقرة التالية من كلام البعقلي إلى كتابه المميّز: " -... فزمامنا القرآن وخط ممشانا الشريعة ومركز قلوبنا الحقيقة. فظواهرنا مع الشريعة وبواطننا مع الحقيقة وعقائدنا على ما لخصه العلماء من القرآن والحديث. فبالقرآن وقفنا مع الشيخ وبالشرعية عرفنا الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه فوقفنا في خط مستقيم مع نبينا مُعانيّة ومع شيخنا عيانا. فعبدنا الله على وجه المحبة لذاته... " (الصفحة 25). وقال في الصفحة 30 و31 ما جاء في إحدى رسائله لمريديه: " -... فبالقطب المكتوم، يا عباد الله، من الناظرين إلى الشريعة بنور الله... فما عسى أن يقول

اللسان فيمن ولاه الله واصطفاه وخصه بمعرفته وارتضاه... فإذا أظفرك الله
بالقطب المكتوم وعرفته، فأنت من السعداء القائمين بحقوقه، لأنه ما ذلك عليه حتى
سبقت لك تمام السعادة. " انتهى.

ولا يسعني إخواني المحبين في نهاية هذا البحث المتواضع، إلا أن أبدي عجزني
عن إحصاء فضائل قطب زمانه ومدحه، وعن تقصيري في رفع الظلم عنه ومدحه
بما يستحقه رضي الله عنه. ولا يشفع لي عنده إلا هذه الأبيات الجامعة المانعة لكل
مكارمه رضي الله عنه:

ومن لي بإحصاء الحسا والكواكب ومن لي بحصر

البحر والبحرُ زاخرُ

أختكم في الله وفي المشرب

نجلة الشيخ البعقلي رضي الله عنه

السيدة زينب أبو عقيل.